حركات المعارضة فى عهد المنصور الموحدى
(يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن)
(٥٨٠ -٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩م)

دكتور/ راكان ذعار المطيري
قسم الدراسات الاجتماعية- كلية التربية الأساسية
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

مقدمة

تُعتبر السنوات التي حكمهـــــــا المنصور الموحدي العصر الذهبي للدولة الموحدية، والذروة التي وصل إليها النضج السياسي في المغرب والأندلس نحو التوحد وإقامة الدولة الموحدية الكبرى. ولقد كان هذا العصر الذهبي قصيرًا نسبياً، حتى أنه يبدو لا يتناسب مع دولة ضخمة مترامية الأطراف، غنية بالثروات والموارد المالية مثل دولة الموحدين. في حقيقة الأمر يمكن القول إن خلفاء الموحدين حكموا بلادًا الى حد ما تُضاهي ما حكمه العباسيون في أوج قوّتهم، وكان تحت إمارتهم حشود من الجند القوي القادر على كسب المعارك، لم يتيسر للكثير من الدول في التاريخ الإسلامي. لقد كانت جيوش الموحدين تضم طيف واسع وكبير من أبناء القبائل المغربية من المصامدة أولاً، ثم من بقية الصنهاجيين والزناتيين ممن أستمالتهم الدولة الموحدية بقوتها وهيبتها، ثم أُضيفت إلى هؤلاء حشود من العرب الهلاليين، الذين إنضووا تحت لواء الدولة الكبرى، ولم يَخْلُ الأمر من قوات أندلسية ذات قدرة ومهاره قتالية عالية. إلا إنه على الرغم من وجود هذه القوّات، إلاّ أنها كانت في أغلب الاحيان مُفَكّكة وتنقصها القيادة الحازمة التي تعرف كيف تدير الجيش بقبضة محكمة، وتُوَجِّه قبلتها وَفق خطط واهداف مرسومة. لذلك يعتبر أبو يوسف يعقوب المنصور من زعماء الموحدين القلائل الذين أستطاعوا أن يحققوا هذه المعادلة وأن يقود جيوش الموحدين قيادة سليمة ذات رؤية واضحة واهداف محددة. لقد كان رجلاً حازمًا موهوبًا في شئون الإدارة والقيادة، وكان شديد الإيمان؛ فانتقل إيمانه إلى رجاله، وأصبحت جيوش

الموحدين في أيامه قوّة ضاربة كبرى إستطاعت أن تجابه مسيحيي الشمال فى إسبانيا، وأن تقضى على حركات التمرد والثورات فى المغرب والأندلس على السواء.

لذا تأتى هذه الورقة البحثية لتعالج قضية مهمه من القضايا التى واجهت المنصور الموحدى، وهى حركات المعارضة بأشكالها المتباينة ما بين معارضة موحدية، ومذهبية مالكية، وبربرية، وعربية، ومملوكية غزية تركية، والتى نجح فى القضاء على معظمها في أيامه، فيما عدا المعارضة البربرية التي قضي عليها تماماً بعد وفاته بعامين، والمعارضة المذهبية المالكية (بنى غانية) التي أستمرت من بعده، وكانت في حقيقة الامر أحد أسباب سقوط دولة الموحدين في نهاية الامر.

إلا إنه لا بد من الإشارة إلا أنه وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت المنصور الموحدى وعصره فإنه لم تفرد دراسة مفصلة عن حركات المعارضة مجتمعه فى عهده، وإن كانت هناك دراسات عديدة عن حركات المعارضة فى عهد الموحدين بصفة عامة إلا أن موضوع هذه الدراسة لم يتناول من قبل لا سيما وأنه يهتم ببعض القضايا المذهبية التى غفل عنها من عالجوا موضوعات المعارضة فى عهد الموحدين، فضلاً عن تأصيله لقضية الصراعات البربرية العربية ضد المنصور الموحدى.

أضف الى ذلك أن هذا الدراسه وبسبب كثرة الدراسات التاريخية التي إهتمت وتناولت وركزت على المعارضة السياسية البارزه لبني غانية تحديداً، فأننا فضلنا تناول معارضة بني غانية هنا كأحد أشكال المعارضة المذهبية المالكية، وهذا يأتي في إطار طرح جديد يختص بمعارضتهم كمالكية، ومن ثم لم نشأ أن نهتم بمعارضتهم السياسية وآثرنا أن نهتم بما غفل عنه الباحثون الذين تنالوا حركة بنى غانية عموما فى عهد الموحدين.

المبحث الأول: المنصور الموحدى وجهوده الحضارية:

عقب وفاة يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ تولى من بعده إبنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ، الملقب بالمنصور بفضل الله.[١]

تولى أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي حكم دولة الموحدين ست عشرة سنة متصلة وثمانية أشهر وأياماً على حد قول المراكشى،[٢] وذكر ابن عذارى أن مدة حكمه أربع عشرة سنة وإحدى عشر شهراً وأربعة أيام،[٣] وقد عُدّ عصره في دولة الموحدين بالعصر الذهبي.

يقول عنه ابن خلكان: " أبو يوسف يعقوب بن أبي يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب.. كان صافي السمرة جداً، جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن، مجرباً للأمور، ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً. وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور. ولما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور. فقام الأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم، ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع، ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات."[٤]

ويكمل ابن خلكان وصفه "ولما مات أبوه كان معه في الصحبة، فباشر تدبير المملكة من هناك، وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس، فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين. وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في

---

[١] ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس. تحقيق عبدالوهاب بن منصور ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص٢٨٣.

[٢] المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد زينهم ، دار الفرجانى ، القاهرة،ص٢١٩،٢١٨.

[٣] ابن عذارى: التواريخ فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية. تحقيق سليمان عبدالغنى مالكى،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، ط١،١٤٣٣ه/٢٠١٢م، ص٦٣؛ وانظر: ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص٢٨٥.

[٤] أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،٤/٣ وما بعدها؛ ابن عذارى: التواريخ فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية. ص٦٧؛ ابن أبى زرع: روض القرطاس،ص٢٨٤.

الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الشام التي في مملكته. فأجاب قوم وأمتنع آخرون".[١]

واستطاع أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي أن يغير كثيراً من أسلوب السابقين له، فكان سمته الهدوء والسكينة وقطع المناكير ومباشرة الأحكام، والعدل والحلم،[٢] حتى إنه كان يقف ليقضي حاجة المرأة وحاجة الضعيف في قارعة الطريق،[٣] وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس.[٤]

ويقال أنه من زهده أنه كان يلبس الصوف الخشن من الثياب، وكان يقيم الحدود حتى في أهله وعشيرته، وبذلك إستقامت الأحوال في البلاد وعظمت الفتوحات.

لقد بلغت أعمال أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي الجليلة في دولته أوجها، حتى وصلت إلى أنه حارب الخمور، وأحرق كتب الفلاسفة، واهتم بالطب والهندسة،[٥] وألغى المناظرات العقيمة التي كانت في أواخر عهد المرابطين وأوائل عهد الموحدين. كذلك أسقط الديون عن الأفراد، وزاد كثيراً في العطاء للعلماء، ومال هو إلى مذهب ابن حزم الظاهري، وأحرق الكثير من كتب الفروع، وأمر بالاعتماد على كتاب الله وعلى كتب السنة الصحيحة.[٦]

---

[١] ابن خلكان: وفيات الأعيان،٤/٣.

[٢] الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. إعتنى به غسان داوود، دار العراب، دار نور حوران، دمشق،٢٠١٦م، ص١٣؛ وانظر: المراكشي: المعجب. ص٢٣٥؛ ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر. دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨١م ،٢٨٦/٦.

[٣] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. دار الغد العربى ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٦م ، ٢٢٥/٤٢؛ وانظر:السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧م ، ١٩٩/٢.

[٤] المراكشي: المعجب. ص٢٣٦. وقد انقطع المنصورعن إمامة الناس فى الصلوات الخمس بعد أن «أبطأ يومًا عن صلاة العصر إبطاءً كاد وقتها يفوت، وقعد الناس ينتظرونه، فخرج عليهم فصلى، ثم أوسعهم لومًا وتأنيبًا، وقال: ما أرى صلاتكم إلاّ لنا، وإلاّ فما منعكم عن أن تُقَدِّموا رجلاً منكم فيصلّي بكم، أليس قد قَدَّم أصحاب رسول الله عبد الرحمن بن عوف حين دخل وقت الصلاة وهو غائب، أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتّبَعُون، والهداة المهتدون. فكان ذلك سببًا لقطعه الإمامة». انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ٢١٩/٤٢.

[٥] الذهبي: سير أعلام النبلاء. تحقيق شعيب الأرناقوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة ، ط١٩،١٤١٩،١١هـ/١٩٩٨م ، ٣١٧/٢١،.

[٦] المراكشى: المعجب، ص٢٣١.

كما إهتم أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى بالعمران والبناء والتشييد،[1] حيث أنشأ مدينة الرباط وسمّاها رباط الفتح.[2] كما أقام المستشفيات وغرس فيها الأشجار، وخصّص الأموال الثابتة لكل مريض، وكان يعود المرضى بنفسه يوم الجمعة، وأيضاً كان يجمع الزكاة بنفسه ويفرقها على أهلها، وكان كريما كثير الإنفاق حتى يقال إنه وزّع في يوم عيدٍ أكثر من سبعين ألف شاة على الفقراء.[3] ومن أعظم المارستانات التى شيدت فى عهده مارستان مراكش الذى يصفه المراكشى بقوله:" وبنى بمدينة مراكش بيمارستاناً ما أظن أن في الدنيا مثله؛ وذلك أنه تخيّر ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يُغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياهًا كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادةً على أربع بِرَكٍ في وسطه، إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفُرُش النفيسة من أنواع الصوف والكَتّان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين دينارًا في كل يوم برسم الطعام، وما يُنْفَقُ عليه خاصة خارجًا عما جَلَب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال، وأعدّ فيه للمرضى ثيابَ ليلٍ ونهار... من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نَقَهَ المريض فإن كان فقيرًا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقلُّ، وإن كان غنيًّا دفع إليه ماله وتُرِكَ وسببه، ولم يَقْصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كلُّ مَنْ مرض بمَرّاكُش من غريب حُمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت. وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله، يعودُ المرضى ويسأل عن أهلِ بيتٍ أهل بيت، يقول: كيف حالكم؟ وكيف القُوَمَةُ عليكم؟ إلى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج، لم يزل مستمرًّا على هذا إلى أن مات ".[4]

ويُعدّ أبو يوسف يعقوب أول من أعلن صراحة فساد أقوال محمد بن تومرت في فكرة العصمة والمهدية، وقال بأن هذا من الضلالات، وأنه ليس لأحد عصمة بعد

---

[1] المراكشى: المعجب، ص٢٤١،٢٤٠.

[2] المراكشى: المعجب، ص٢٢٣.

[3] المراكشى: المعجب، ص٢٣٧؛ وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣١٧/٢١.

[4] أنظر: المعجب، ص٣٦٤.

الأنبياء.[1] وذكر الذهبي أنه كان يجيد حفظ القرآن والحديث، ويتكلم في الفقه ويناظر، وكان فصيحاً مهيباً، يرتدي زي الزهّاد والعلماء ومع ذلك عليه جلالة الملوك.[2]

ويذكر أنه كان يقعد للناس عامّة، لا يحجب عنه أحد من صغير ولا كبير. وأنه كان يقضي بين الناس أحياناً، حيث يروى أن رجلان اختصم إليه في نصف درهم، فقضى بينهما، وأمر الوزير أبا يحيى صاحب الشرطة أن يضربهما ضربًا خفيفًا؛ تأديبًا لهما، وقال لهما: أما كان في البلد حُكّام قد نُصبوا لمثل هذا. فكان هذا -أيضًا- مما حمله على القعود في أيام مخصوصة لمسائل مخصوصة لا يُنفذها غيره. كما أبدى إهتماماً بالامور الاقتصادية وحال الاسواق، حيث أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين؛ يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم، وكان إذا وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم، فإذا أثنوا خيرًا؛ قال: "إعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة، فلا يقولنّ امرؤ منكم إلا حقًّا. وربما تلا في بعض المجالس: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} (النساء: ١٣٥).[3]

أما على ساحة الجهاد الأندلسية فأكثر ما يميز عصر هذا الخليفة ذلك الإنتصار الذى حققــه على الفونســو الثامن Alfonso VIII ملك قشتالة عام ٥٩١هـ/١١٩٤م في إنتصار الأرك الشهيرAlarcos .[4] الذى ترتب علىه سقوط بعض المدن والحصون

---

[1] المراكشى: المعجب، ص٢٣٩،٢٤٠.هذا وقد أعلن المأمون–الخليفة الموحدي فيما بعد- وهو ابن المنصور بطلان المهدية في عام ٦٢٦ هـ، وأصدر مرسومه يقول فيه: «ولتعلموا أنّا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحقّ، وأن لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم، وما سُمّيَ مهديًّا إلا أنه تَكَلّم في المهد، وتلك بدعة قد أزلناها، والله يُعيننا على القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة؛ فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتسقط وتُبَتُّ، وتُمْحَى ولا تثبت، وقد كان سيدنا المنصور هَمّ أن يصدع بما به الآن صَدَعْنَا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يُساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجله، فقدم على ربّه بصدق نية، وخالص طويّة،وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظنّ بمن لم يَدْرِ بأي يدٍ يأخذ كتابه. ».أمر بقطع ذِكْرِ إمامهم المهدي من الخطبة في جميع بلاده، ومحا اسمه من المخاطبات ومن النقش في السّكّة،وقطع النداء بعد الصلاة...وما أشبه ذلك مما كان العمل عليه من أول دولة الموحدين.

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣١٦/٢١.

[3] المراكشى: المعجب، ص٣٦١وما بعدها.

[4] عن انتصار الأرك أنظر: المراكشى: المعجب، ص٣٥٨-٣٥٩؛ ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص٢٢٠- ٢٢٨؛ الحلل الموشية، ص١٢١؛ المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨م ، ٤٤٣/١-٤٤٤؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ، ٨٧/٢.

الهامة فى يد المنصور،[1] كما أن لهذه المعركة آثارًا لا تقل أهمية عن الآثار التى تركتها موقعة الزلاقة، حيث أعادت للمسلمين هيبتهم ومكانتهم فى الأندلس، ولكن مما يؤخذ على المنصور أنه لم يستغل هذا النصر في الاستيلاء على طليطلة، وأكتفى بتنظيم إدارة الأندلس، وجنح إلى السلم معطيًا الفرصة لالفونسو الثامن أن يعيد تنظيم قواته.[2]

على أية حال لقد واجه المنصور الموحدى منذ بداية حكمه العديد من الثورات والمعارضات ، والتى انتهى بعضها فى حياته ، ومنها ما أستمر لما بعد وفاته فى عهد إبنه الناصر ، وهو ما سنعالجه فى المبحث الثانى من دراستنا هذه.

[1] ابن أبى زرع: روض القرطاس ، ص٢٢٩.

[2] صالح الأشتر: معركة الأرك، دار الشرق العربى ، بيروت، ص٢٦.

المبحث الثانى : حركات المعارضة بالمغرب والأندلس فى عهد المنصور الموحدى:

تعددت حركات المعارضة فى عهد المنصور الموحدى بالمغرب والأندلس منذ أن أسند إليه أمر السلطة الموحدية، وشملت معارضة من قبل أقاربه الموحدين ، وتحديداً من إخوته وبنى عمومته وهو ما وسمناه بالمعارضة الموحدية، كما واجه المنصور معارضة من قبل فلول المرابطين المتمثلين فى بنى غانية، كما لقى المنصور معارضة من قبل المماليك الترك(الغز) الذين أرسل بعضهم صلاح الدين الأيوبى إلى بلاد المغرب وأستقبلهم المنصور استقبالاً حسناً إلا أنهم خانوه مرتين:الأولى بتحالفهم مع بنى غانية، والثانية بتمردهم عليه وثورتهم ضده. كذلك وجد المنصور الموحدى معارضة من قبل البربر تارة، ومن قبل بعض القبائل العربية تارة أخرى، ولا يمكن أن نغفل المعارضة المالكية بأى حال من الأحوال .

أولا : المعارضة الموحدية : واجه المنصور الموحدى عدة معارضات من داخل البيت الموحدى، وتحديداً من أسرة بنى عبدالمؤمن ، حيث حاول المنصور أن يخمد بعض الحركات فى مهدها قبل أن تصل إلى درجة الثورة، ومن ذلك أنه بعد أن تمت بيعته فى مدينة سلا سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م كان قد أغدق على بعض أعمامه الأموال والإقطاعات الواسعة -بعد معرفته بتلكئهم عن بيعته- ، فأستجابوا له جميعاً وبايعوه.[١]

كانت أول حركات المعارضة الموحدية حركة أبى حفص عمر الملقب بالرشيد، أخو المنصور الموحدى، والذي كان متمركزاً بشرق الأندلس وتحديداً فى مدينة مرسية حيث أبدى عمر الرشيد لمن حوله من خاصته إمتعاضه ومعارضته لبيعة أخيه وسعى لإستمالت قبائل صنهاجة ليقوموا بأمر دعوته. وقد تسببت أفعال أبى حفص عمر الرشيد الهوجاء إلى إمتعاض العامه منه على حد وصف المراكشى له،[٢] خصوصا بعد قتله لقاضي مرسية وخطيبها ابن أبي جمرة،[٣] وقبضه على ابن رجا مشرف مرسية.

---

[١] المراكشى : المعجب ،ص٢٢٢.

[٢] المراكشى: المعجب،ص٢٣٠.

[٣] عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، ولد بالأندلس، ومات بمصر، كان بصيرًا بمذهب مالك، عاكفًا على نشره. كان فصيحًا، حسن البيان، عدلاً، جزلاً، عريقًا في النباهة والوجاهة .قال ابن عطاء الله السكندرى :رأيت سيد المرسلين في المنام يقول له أما رزت سلطان المشرق والمغرب . فقال له يا سيدى ومن سلطان المشرق والمغرب فقال له عبد الله بن ابى جمرة ما وقع نظره على أحد إلا وجبر .. وقد أوصى ابن عطاء الله السكندري أن يدفن بجواره. وابتلى بإنكار عليه حين قال "أنه يرى رسول الله ﷺ يقظة ويشافهه ."وقام عليه بعض الناس فانقطع في بيته إلى أن مات . وكان=

كذلك مولاته مع للأذفونش ملك النصارى، بالإضافه إلا ما قام به من الإستيلاء على أموال التجار وما فى بيوت الأموال. [1]

ولكن ما إن وصلت أخبار حركة عمر الرشيد وتمرده إلى المنصور إلا أن خرج الأخير من بجاية[2] إلى فاس. فلما علم عمر الرشيد بخروج المنصور عبر البحر وخرج للقائه فالتقيا بالقرب من مكناسة، وقد وحاول الرشيد ان يخفى ما كان يدبره فنزل عن دابته على العادة وأراد أن يسلم على أخيه المنصور فلم يقبل الأخير منه كلام ، وأمر بالقبض عليه وتقييده، وحمل إلى مدينة سلا،[3] ثم أمر من يقوم به بإثقاله بالحديد والسير حتى مدينة مراكش ، حيث تم قتله والصلاة عليه.[4]

وتبع ذلك حركة أبى الربيع سليمان بن عبدالمؤمن بن على الكومى عم المنصور عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، طمعا في الملك فخرج على ابن أخيه المنصور،[5] حيث ظن كما ظن الرشيد من قبله أن دولة المنصور قد تصدعت دعائمها وأوشكت على

=قوالاً بالحق آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر،وكانت وفاته بمصر سنة ٦٩٩ / ١٢٩٦م.أنظر:ابن الجزرى:غاية النهاية فى طبقات القراء،دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،٦٩/٢؛أحمد بابا التنبكتى: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرام ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ١٩٨٩م ،ص١٤٠؛ ابن العماد:شذرات الذهب فى أخبار من ذهـــب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د.ت)،٣٤٢/٤؛عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين،مؤسسة الرسالة ،١٤١٤هـ/١٩٩٣م،٥٧/٦.

[1] ابن عذارى: التواريخ،ص٩٢،٩١.

[2] بجاية مدينة عريقة تاريخية جزائرية أسسها الناصر بن علناس ابن حماد بن زيري أحد ملوك بني حماد بالجزائر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، لذا تسمى أيضًا الناصرية نسبة إليه.عرفت المدينة أيضًا باسم صالداي وبوجي، وهي التي بنى فيها الناصر قصر اللؤلؤة أعجب قصور الدنيا آنذاك ونقل إليها الناس وامتاز عهده فيها بالأمن والاستقرار ،ومدينة بجاية هي ثاني عاصمة لدولة بني حماد.

[3] سميت قديما باسم شالة .وتعود بدايات المدينة، إلى العهد الموحدي وشهدت المدينة عنفوانها وازدهارها في تلك الحقبة.عرفت المدينة تطورا حضاريا عكسته مجموعة منجزات يأتي في مقدمتها المسجد الأعظم الذي أنشأه يعقوب المنصور الموحدي سنة ١١٩٦م، ويصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنها : مدينة أزلية فيها آثار للأوائل، وهي معروفة بضفة، متصلة بالعمارة التي أحدثها الخليفة أمير المؤمنين وآباؤه المكرمون (يعني الموحدين)، ويعتبر عهد المرينيين،(القرن الرابع عشر الميلادي) فترة ازدهار عمراني وحضاري لا نظير له .تعد مدينة سلا طيلة التاريخ الإسلامي نقطة عبور مهمة بين مدن وعواصم إسلامية حكمت المغرب، مثل فاس ومراكش .وبفضل وجود ميناء على سواحل المدينة الذي غدا مركزا للتبادل التجاري بين المغرب وأوروبا وأدى بدوره إلى استقرار واستمرار النشاط التجاري والصناعي إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي .لمزيد من التفاصيل عنها أنظر:مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٤٠؛ حمدى عبدالمنعم محمد حسين: مدينة سلا فى التاريخ الإسلامى،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٩٣م،ص٣وما بعدها.

[4] المراكشى: المعجب،ص٢٣١،٢٣٠؛وانظر: ابن عذارى: التواريخ، ص٩٢؛ ابن أبى زرع: روض القرطاس،ص٢٨٦.

[5] ابن خلدون: العبر،٣٢٨/٦.

الانهيار بعد أن هزم الجيش الموحدي في وقعة عمرة، وقتل معظم قادته.[1] وكما فعل ابن أخيه الرشيد، سعى ابي الربيع الى محاولة استقطاب شيوخ قبائل صنهاجه لدعوته، حيث إتخذ من تادلا[2]مركزاً لثورته. ولما علم المنصور بأمره خرج للقائه، فلما وصل الخبر لأبى الربيع سليمان خرج بمن معه من تادلا، وكان لقائه بالمنصور فى سلا كما كان الأمر بالنسبة لعمر الرشيد ، وأمر المنصور بتقييده كما فُعل بالرشيد، وحمل إلى مراكش وأنتهى أمره بالقتل كما كان حال الرشيد من قبله.[3] وفي هذا السياق يذكر أنه عندما أمر المنصور بقتل أخيه وعمه الذين خرجا عليه، ودفنهما، كتب إليه المفوض بالأمر أنه :"بنى قبريهما بالكدان والرخام، وحسنهما، فكتب إليه : ما لنا ولدفن الجبابرة؟، إدفنهما كيف يدفن عامة المسلمين".[4]

ولكن لم يطل الأمر كثيراً حتى تبلورت ثورة ثالثه موحدية والتي تمثلت بثورة أخيه أبا يحيى بن يوسف بن عبدالمؤمن عام ٥٨٥ ه/١١٨٩م فى قرطبة. وتفصيل ذلك أن المنصور بعد أن أعاد مدينة شلب إلى رحاب الأندلس سنة ٥٨٥ه، وعاد الى مراكش مرض مرضاً شديداً خيف عليه منه ، وكان قد ولى أخاه أبا يحيي الأندلس ، فجعل أبو يحيي يتلكا فى خروجه إلى الأندلس ويبطىء تربصاً بأخيه المنصور وطمعاً فى وفاته، وكلما أفاق المنصور سأل : هل عبر أبا يحيي أم لا؟ فلما بلغ أبو يحيي إستحثاثه إياه، أسرع بالعبور وأشاع في الأندلس أن المنصور ميت لمرضه الشديد، وأخذ يدعو لنفسه قائلاً "ما تركت أمير المؤمنين إلا هامة اليوم أو غد، وليس لها غيرى! فجعل أشياخ الأندلس يحيل بعضهم على بعض حتى بلغ مرسية، وكتبوا بذلك مساطير خوفاً على أنفسهم".[5]

الجدير بالذكر أن حركة أبى يحيي لقيت تأييداً من قاضى القضاة وقتها ابن رشد الحفيد الذى وطد صلاته بأبى يحيى أخى المنصور ووالى قرطبة وخاطبه فى خاتمة كتابه الضرورى فى السياسة بقوله " أعانكم الله على ما أنتم بصدده وأبعد عنكم

---

[1] عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ،١٦٦/٥-١٦٨.

[2] تقع في وسط المغرب شمال جبال الأطلس الكبير وغرب الأطلس المتوسط .تعتبر المنطقة مساكن أصلية لقبائل تادلا الشبه رحل حيث سميت باسمهم.

[3] المراكشى: المعجب،ص٢٣٠،٢٣١؛ وانظر: ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص٢٨٦.

[4] المراكشى: المعجب، ص٢٣١.

[5] المراكشى: المعجب،ص٢٣٣.

كل مثبط بمشيئته وفضله".[1] فكأنه بذلك يقر والى قرطبة على محاولته بالخروج على المنصور ، ويعلن أن المنصور حاكم مستبد لا يصلح للحكم، بل يزداد موقف ابن رشد الحفيد وضوحاً وحده ضد المنصور عندما اتهم الحكم الموحدى بالطغيان حيث قال: " إن الطغيان واضح فى تصرفات حكام زماننا وليس من خلال القول فحسب" ، وقال : " إن الحكم الجماعى يتحول إلى حكم طغيان كما يحدث الآن فى مدينتنا هذه " يعنى قرطبة.[2]

على أية حال أفاق المنصور من مرضه وخرج للنقاهة فى فاس ، وبلغه خبر خروج أبى يحيي وثورته، وجاءته كتب أهل الأندلس بشأن دعوة أبى يحيي لهم كى يبايعوه، وهنا قرر المنصور العبور إلى الأندلس للقضاء على حركة أبى يحيي، ولما علم أبو يحيي بتحرك المنصور إليه تحرك هو الاخر إلى المنصور، ولكن ليعتذر عما بدر منه لأنه لا قبل له بمجابهة المنصور، وكان اللقاء فى مدينة سلا أيضاً كما كان الأمر بشأن الرشيد وسليمان من قبل. ولما وقعت عين المنصور على أبى يحيي قال لمن عنده: هذا الشقى قد جاء وأمر به فقيد ، وأرسل إلى مشايخ الأندلس للشهادة عليه فشهدوا، وقال له :إنما أقتلك بقوله صلى الله عليه وسلم" :إذا بُويع خليفتان بأرض فأقتلوا الآخر منهما !"وأمر بضرب عنقه.[3] وقد وتولى قتله أخوه لأبيه عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالمؤمن. وتعلق المصادر على النتيجه بالقول "فهابه بقية أقاربه وخافوه، بعد أن كانوا متهاونين بأمره محتقرين له، وأقبل على الأقارب فنال منهم بلسانه وأخذهم بشدة، وأمر بإخراجهم على أسوأ حال وكل منهم يشك أنه مقتول ولم يزل أمر القرابة من يومئذ في خمول".[4] ولتأكيد التوحد والتميز والهيبه عن بقية أبناء الأسرة الموحديه، منع المنصور قرابته أن يرتدوا نفس ملابس السلطان فلم يعد أحد منهم يجرأ على لبس

[1] بن رشد: الضرورى فى السياسة ، ترجمة أحمد شحلان ، تقديم محمدعابد الجابرى ، مركزدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص٢٠٨.

[2] مجموعة من المؤلفين: ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب فى الذكرى المئوية الثامنة لوفاته ، راجعه مقداد عرفه ، منشورات المجمع الثقافى ، تونس ، ١٩٩٩م، ٣١١/١.

[3] المراكشى: المعجب،ص٢٣٣.

[4] المراكشى: المعجب،ص٢٣٤،٢٣٣.

ذلك اللون من الملابس،[1] وبذلك أرسال المنصور رساله واضحه لكل أعضاء البيت الموحدي أنه لن يسمح أو يغفر لكل من تسول له نفسه بالخروج عن طاعته وأثارة الفتن والعبث بأمن وأستقرار البلاد.[2]

الجدير بالذكر أن هذه التمردات أو المعارضات الثلاث كانت سياسية ، ولم تكن هى وحدها التى مثلت المعارضة الموحدية بل ينضاف إليها معارضة رابعة كانت عسكرية والتى حمل لواءها أبو إسحاق بن عبدالمؤمن عم المنصور ، الذى بدأ يطعن فى خطط وآراء المنصور العسكرية ويضعفها بحجج ضعيفة فى إطار كسب تعاطف الجنود والمحاربين والقادة، إلا أن حركته لم تلق القبول وأنتهت سريعاً، وقد كانت نهايته بأن نكبه المنصور وطرده دون دابة تحمله، فوطأت العامة أثوابه، ولم يلبث إلا يسيراً ومات.[3]

ثانياً: المعارضة المالكية :

عقب سقوط دولة المرابطين المالكية وقيام دولة الموحدين ظاهرية المذهب كان لابد من وجود معارضة مالكية للدولة التى أقصت حكم المرابطين وقضت على المذهبية المالكية ، ومن ثم وجدنا العديد من ثورات المالكية التى قام بها بعض الفقهاء والقبائل قبل عصر المنصور الموحدى فى المغرب والأندلس ومنها ثورة سبتة بزعامة القاضى عياض[4] وثورة محمد بن عبدالله بن هود الماسى بالسوس سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م،[5] وثورة لبلة بزعامة على الوهيبى وجماعة من المالكية ،[6] ومن ثم كانت هذه الثورات المالكية مقدمة للثورات المذهبية المالكية التى قامت فى عهد المنصور الموحدى ومنها:

---

[1] ابن عذارى: البيان المغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وجماعة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، قسم الموحدين،ص١٨٩،١٨٨.

[2] ليلى أحمد نجار: المغرب والأندلس فى عهد المنصور الموحدى، أطروحة دكتوراة،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة ،١٤٠٩ه/١٩٨٩م،١٥٣/١.

[3] ابن عذارى: التواريخ، ص٩٠.

[4]) ابن خلدون: العبر ، ٤٧٤/١١ .

[5] ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص٣١،٣٠ ، وانظر : ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٤٨٠،٤٧٩/١١ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٤٥،٢٤٤ ، عز الدين عمر موسى: الموحدون فى الغرب الإسلامى ، دار الغرب الإسلامى ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٤٣.

[6] ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٥٥،٢٥٤.

١-ثورة الجزيرى: قيل أبوعبدالله بن عبدالله الجزيرى، وقيل أبو عبدالله على بن محمد بن رزين الجزيرى،[١] وقيل محمد بن عبدالله الفقيه المالكى الأندلسى من أهل الجزيرة الخضراء.[٢] قام هذا الفقيه المالكى بثورته فى عهد المنصور الموحدى(٥٨٠هـ-٥٩٥هـ/١١٨٤م-١١٩٩م) وبدأت فى رجب ٥٨٦هـ/١١٩٠م بمدينة مراكش، وقد غلف الجزيرى ثورته بشعارات دينية، وأعتمد على التأويل والمتشابهات،[٣]وراح ينكر على الموحدين مظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المهدى.[٤] وقد تنقل الجزيري بين مراكش وفاس والأندلس، حيث تبعه أناس كثيرون، وكان يتظاهر بطلب العلم، فأمر المنصور بنفيه من مراكش، فتجول فى بعض المدن ثم عاد إلى مراكش فأمر المنصور والى مراكش بالبحث عنه فلم يجده، ثم ظهر فى مدينة فاس وقد أتبعه على رأيه جماعة من أهلها فأمر واليها بالقبض عليهم وقتلهم.[٥] إلا أنه سرعان ما ظهر للجزيرى أتباع مرة ثانية فى مراكش فأمر المنصور بسوقهم إلى إشبيلية ، وكان فى جملتهم الجزيرى نفسه. ألا أن المصادر تشير إلا الجزيري نجح فى رشوة القاضى المعروف بالوانى الذي أمر بإطلاق سراحهم،[٦]حتى قبض عليه فى مرسية والمنصور بالأندلس ، حيث سيق إلى إشبيلية وطيف به على جميع الحاضرين ، وراح ينكر الجزيري ما كان منه من تمرد ومعارضة، إلا أن المنصور والسلطة لم تسمع له وانتهى أمره بالصلب وبذلك إنتهت حركته.[٧] وأما القاضى الذى أطلق سراح الثائر الجزيرى فأمر المنصور بضربه بالسياط على عدد الدنانير التى حصل عليها من الثائر فمات القاضى قبل إكمال السياط.[٨]

---

[١] ابن سعيد: المغرب،٣٢٣/١.

[٢]إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى،ص٧٩ هامش ٤.

[٣]ابن عذارى: التواريخ،ص١٠٣.

[٤]إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى،ص٧٩ هامش ٤.

[٥]ابن عذارى: البيان المغرب،٢٠٧/٤.

[٦] ابن عذارى: التواريخ،ص١٠٣.

[٧]ابن عذارى: التواريخ،ص١٠٣.

[٨] ابن عذارى: البيان المغرب،٢٠٨/٤.

وقد تنافس الشعراء لنظم الشعر ومدح المنصور لتخليصه الدولة الموحدية من فتنة هذا الثائر ، وكان من جملة ما قيل من شعر الشعر الذى إمتدح به الشاعر الجراوى المنصور:

قضى لكَ اللّه بالتأييدِ والظفَرِ وبالسعادَةِ في وردٍ وفي صَدَرِ
آثرتَ في نُصرَةِ الدينِ المسيرَ على طيبِ المُقامِ وبعتَ النومَ بالسهرِ
مُظفّرٌ مالمغرورِ يُطالِبُهُ في الأرض من ملجأ عنهُ ولا وَزَرِ
جدِّ الجزيريِّ في إتلافِ مهجتِهِ حَتّى تَورَطَ في وردٍ بلا صَدَرِ
نارٌ من الفتنةِ العَمياءِ أطفأها سَعدُ الإمامِ وحَدُّ الصارِمِ الذكرِ
ما زالَ إبليسُ في الأقطارِ يوقِدُها وترتمي من شرارِ الخلقِ بالشرَرِ
زادَ الشقيُّ على الخفاشِ مشبهِهِ ضعفَ البصيرةِ إذا ساواهُ في البصَرِ
جارى إلى سقرٍ أصحابَهُ فهووا فيها سراعاً ووافاهُم على الأثرِ
إن الذي اتخذ الأهواءَ آلِهَةً على الضلالِ مُصِرٌّ غَيرُ مُزدَجِرِ
والوَعظُ في الناسِ مقبولٌ ومُطّرَحٌ كالخطِّ في الماءِ أو كالنقشِ في الحَجَرِ.[1]

٢-ثورة قفصة على المنصور الموحدى:

وقد سبقها ثورة على بن عبدالعزيز بن الرند بقفصة من بلاد أفريقية سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، ودعا للعباسيين، وتلقب بالناصر لدين النبى، [2] لكن يوسف بن عبدالمؤمن توجه إليه بنفسه وقضى على ثورته بعد أن اضطربت أحوال أفريقية، وقتل ابن الرند سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م،[3] وفى عهد المنصور بن يوسف عاودت قفصة الثورة والمعارضة للموحدين وللمهدوية سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م مع بلاد الجريد عندما وصلها

[1] ابن عذارى: البيان المغرب،٢٧٩/٤. وانظر: عبدالله كنون: النبوغ المغربى فى الأدب العربى، ص٨١٢؛محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس،١٨٠/٤.

[2] أحمد عزاوى، رسائل موحدية،٧١/٢. كانت دعوته للخليفة العباسى المستضىء بأمر الله (٥٦٦هـ-٥٧٥هـ/١١٧٠م-١١٨٠م). عن المستضىء أنظر: السيوطى، تاريخ الخلفاء ، دار الفكر، القاهرة ، د.ت، ص٤٠٩-٤١٣.

[3] الزركشى، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق الحسين اليعقوبى، المكتبة العتيقة،تونس،ط١٩٩٨،١م، ص ٣٠؛ وانظر: ابن خلدون، العبر، ٥٠٢/١١،الناصرى، الاستقصا: ١٥٣،١٥٢/٢، ابن أبى زرع: روض القرطاس ، ص٢٧٨.

بنو غانية، ونزعت طاعتها وأهلها سنة ١١٨٦/٥٨٢م، ودعوا لبنى غانية. لكن المنصور قضى عليها فى العام التالى حيث حاصرها أشد الحصار،ثم دخلها عنوة فقتل أهلها قتلاً ذريعاً سنة ٥٨٣ه.[١] ويصف المراكشى ذلك بالقول: " بلغنى أنه قتل أكثرهم ذبحاً، وأمر بأسوارها فهدمت".[٢]

ولا شك أن ثورة قفصة كانت تهدف إلى تحقيق طموح سياسى ، لكن لا يمكن أيضا أن نغفل العامل المذهبى ، خاصة أن الثورة لم تتجدد وتقوم إلا عندما وصل بنو غانية إلى قفصة، حيث وجدوا تأييد جماعة من أكابر فقهاء المالكية كأبى على المسيلى، وعبدالحق الأزدى الإشبيلى، وأبى الطاهر الشريف الحسنى،[٣] فضلا عن تأييد الرأى العام فى المدن المتأثرة بعلماء المذهب المالكى لبنى غانية ضد الموحدين.[٤]

٣-: ثورة بنى غانية أخطر ثورات المالكية:

ينتمي بنو غانية[٥] إلى قبيلة مسوفة البربرية وهى ثانى قبيلة صنهاجية بعد لمتونة قامت عليها دولة المرابطين.[٦] وبنو غانية هم أبناء على بن يحيي بن إسحاق الصنهاجى ،[٧] وأشتهروا ببني غانية نسبة إلى أمهم غانية.[٨] أنجب على بن بن يحيي محمداً ويحيي ،

---

[١] ابن عذارى: التواريخ فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص٨٦،٨٧؛وانظر:ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص ٢٨٧؛ إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى،ص٦٦.

[٢] أنظر: المعجب،ص٢٢٨.

[٣] ابن أبى زرع: روض القرطاس ، ص٢٨٦،٢٨٧، وانظر، عزاوى: رسائل موحدية ، ٧٢،٧٣/٢.

[٤] عبدالله العروى ، تاريخ المغرب ، ترجمة ذوقان فرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص١٩٠،١٩١ ، وانظر : عزاوى ، سابق ، ٧٣/٢.

[٥] تسمي بعض المصادر بني غانية بالميارقة نسبة إلى جزيرتهم ميورقة وفي بعض الأحيان تسميهم بالملثمين لأن أصولهم تعود إلى شعب الطوارق المشهورين بالارتداء للثام إلى اليوم، لكن الغالب على تسميتهم هي بني غانية نسبة إلى أمهم غانية؛ التي قيل إنها من غانة البلد الأفريقي المعروف،وكانت من جوارى الأمير على بن يوسف بن تاشفين،وتزوجها على بن يحيي فأنجبت له محمداً ويحيي ابنى غانية.لمزيد من التفاصيل أنظر:ابن القطان:نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى ، دار الغرب الإسلامى ، ط١ ، ١٩٩٠م ،ص٢٢١،٢٢٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،١٦٦/٩وما بعدها،القلقشندى: صبح الأعشى، تحقيق يوسف على الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م،٢٥٨/٥،٢٥٧؛ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان ، دار المعارف بمصر،١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ،٣٤٣/٤-٣٤٧.

[٦] ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ٢٠٥/٢.

[٧] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر،٢٨٦/٦.

[٨] المراكشي: المعجب،ص٢٢٣.

ورزق محمد بن علي بن يحيي من الأبناء: عبد الله وإسحاق والزبير وطلحة وعدداً من البنات. أما أخوه يحيى، فقد كان عقيماً.[١]

خلف إسحاق ابنه محمد، فراسل الموحدين مبايعاً، من غير أن يعلم إخوته، أو يستشيرهم في ذلك. فبعث إليه الموحدون وفداً برئاسة القائد أبي الحسن علي بن الربرتير، للتأكد من حسن نواياه.[٢] ولكن ما أن علم إخوة إسحاق بالأمر، حتى جردوه من السلطة، وعينوا أخاه عليّاً عوضاً عنه. ولما علموا بوفاة الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في ١٨ ربيع الآخر ٥٨٠ هـ/ ٢٩ يوليو١١٨٤م، وضعوا ابن الربرتير في الحبس.[٣]

إنتهز علي بن غانية فرصة إنشغال الموحدين بوفاة الأمير يوسف بن عبد المؤمن، والبيعة لابنه يعقوب المنصور ووجود معظم جيوشهم بالأندلس، فهاجم مدينة بجاية واستولى عليها، وأتخذ الإمام المحدث والفقيه المالكى عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلى خطيبا له،[٤] ثم وضع كل من وجده بها من الموحدين في الحبس، وذلك في عام ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م مستغلاً وجود والى المدينة خارجها فى بعض أعماله.[٥] وبعد أن ثبت ابن غانية أقدامه ببجاية، وأعاد الدعوة للعباسيين بها،[٦] جرياً على نهج أسلافه المرابطين، فكر في الاستيلاء على مدن المغرب الأوسط، فتحرك بجيوشه، وأستطاع الإستيلاء على مدينة

---

[١] المراكشي: المعجب،ص٢٢٤.

[٢] ابن عذارى: التواريخ فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية،ص٦٨.

[٣] ابن خلدون: العبر، ٦/ ٥٠٧. علي بن الربرتير هو رسول الموحدين وكان شعلة متقدة من الدهاء فاستطاع أن يقنع الحراس النصارى الموكلين بحراسته بان يطلقوا سراحه ويعينوه على قلب نظام الحكم على أن يعطيهم أموالا كثيرة ويطلق سراحهم ليذهبوا إلى بلدانهم في أوروبا، وفعلا تمت الاتفاقية، واستغل ابن الربرتير احرام الناس لصلاة الجمعة وخرج على حين غرة وتمكن من أسر أسرة علي ابن غانية نفسه ثم تحصن بأحد الحصون هناك وهدد كل من يحاول اقتحام الحصن بقتل أم علي بن غانية مما جعل أهل الجزيرة عاجزين عن فعل أي شيء. وبعد مفاوضات طويلة رضخ أهل الجزيرة للامر الواقع وتم الاتفاق بين أهل الجزيرة وابن الربرتير على أن يُرجع أهل الجزيرة محمد بن غانية(الذي عزله إخوته من قبل) إلى الحكم ويعلن محمد بن غانية بدوره دخوله في طاعة للموحدين، واخذ منهم الايمان المؤكدة على ذلك ثم نفذ ما اتفق مع جند النصارى وسرحهم إلى بلدانهم سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٥م ورجع هو إلى مراكش ليبشر الخليفة الموحدي بعظيم صنعه. وبدى كانما دخلت الجزيرة في طاعة الموحدين أخيرا.أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في ذكر تاريخ بلاد الأندلس والمغرب، الدار المغربية لنشر الدار البيضاء،ص ٣٠٠.

Alfred bell, les benous Ghanya, Universel, ١٩٠٣,P١١٣

[٤] المراكشى: المعجب ، تحقيق محمد زينهم ، دار الفرجانى ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص٢٢٥،٢٢٦، وانظر: إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى ، ص٥٦.

[٥] الزركشى: تاريخ الدولتين،ص١٣،١٤؛وانظر:المراكشي،المعجب،ص٢٢٣ ،٢٢٥.

[٦] المراكشي: المعجب، ص ٣٩١.

الجزائر، ومليانة[1] وقلعة بني حماد[2]. وبهذا يكون قد امتلك كل أعمال بجاية إلا مدينة قسطنطينة[3]، التي استعصت عليه، فضرب عليها حصاراً.[4]

ومما يؤكد على أن ثورة بنى غانية كانت مالكية وتنزع إلى إعادة الحكم المرابطى والمذهب المالكى فى آن واحد أمرين هما:

أولاً : ان ابن غانية حصل على تأييد أعيان مدينة بجاية والفقيه المالكى الكبير عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلى المعادى للدعوة الموحدية ومذهبها الظاهرى، والذى كان يتمتع بشعبية كبيرة فى بجاية ونواحيها، ومن ثم كان إنضمامه إلى ثورة ابن غانية سنداً قويا وداعماً لها. [5]

ثانياً: أن ابن غانية كان على إتصال سرى بالناقمين على الحكم الموحدى من أعيان بجاية الموالين لبنى حماد المالكيين أمراء بجاية السابقين،[6] والذين حثوه على غزو بجاية ، وأنه لن يجد أية مقاومة، وأن رجالهم وأموالهم تحت تصرفه، وأن الوالى الموحدى أبا الربيع سليمان بن عبدالله بن عبدالمؤمن، سيغادر بجاية إلى مراكش لمبايعة الخليفة الجديد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن، فعليه اغتنام هذه الفرصة ، والإسراع بالتوجه إلى بجاية.[7]

---

[1] مليانة: مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين مدينة تنس والمسيلة، وبقرب نهر سلف. وهي تدخل ضمن منطقة الزاب. أنظر:الحميري، الروض المعطار، ص. ٥٤٧.

[2] المراكشي: المعجب، ص. ٣٩١؛

Unesco, General History of Africa, Edited by D. T. Niane, vol. IV, University of Calefornia Press, ١٩٨٤, p. ٤٦

وقد عاقب المنصور بنى حماد بالتغريب من بجاية إلى سلا بتهمة معاونة بنى غانية. أنظر:حمدى عبدالمنعم مدينة سلا،ص٣٥.

[3] قسطنطينة: أوردها الحميري. قسنطينة: تبعد عن بجاية ستة أيام (١٥٠ ميلاً تقريباً)، وهي مدينة حصينة. أنظر:الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٠ ــ ٤٨١.

[4] ابن الأثير: الكامل، ١١/ ٥٠٧؛ رسائل موحدية، إصدار إ. ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٤١، ص ١٧٣ ــ ١٧٤.

[5] إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى ، ص٥٦.

[6] تنسب الدولة الحمادية إلى حماد بن بلكين، والذى قطع دعوة الفاطميين الشيعية ، وأظهر السنة على المذهب المالكى ، وسار ابنه القائد بن حماد على نفس النهج . أنظر :عبدالحليم عويس: دولة بنى حماد ، دار الوفاء ، المنصورة ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٢٥٦.

[7] إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور ، ص٥٣-٥٦.

نجح ابن غانية في اقتطاع أجزاء من دولة الموحدين وضمها لملكه، وفي الوقت نفسه شغلهم عن مهاجمة ميورقة، دار حكمه، ومقتنعاً بالمثل القائل:الهجوم خير وسيلة للدفاع.[١] لكن المنصور نجح سريعاً في استرداد بجاية ونواحيها، ورأى بنظره ثاقبه، ضرورة القيام ببعض التغييرات الإدارية والسياسية في إفريقية من أجل ضمان استتباب الأمن بها، وإخماد نار الفتنة في مهدها إذا اشتعلت من جديد.[٢]

وجدت حركة ابن غانية في إفريقية تربة خصبة، حيث إنضم إليها المماليك الترك (الغز) الذين جاءوا من مصر مع قراقوش كما سيتضح بعد قليل عند الحديث عن المعارضة المماليكية الغزية. كما انضم إلى ابن غانية، أيضاً، بنو سليم،[٣] وجملة من أعيان الأندلس القاطنين بإفريقية، من بينهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي.[٤]

شعر ابن غانية في إفريقية بقوة مركزه، فتلقب بأمير المؤمنين،[٥] ليعطي سلطته السند الديني والشرعية لمقاتلة من يمتنع عن مبايعته. ونجح فى إخضاع العديد من مواضع إفريقية إلا مدينتا تونس والمهدية.[٦]

زحف المنصور نحو ابن غانية لإسترداد ما فقده لصالح ابن غانية، إلا أن الأخير قام بتنظيم أتباعه، وتمكن بكل سهولة من إلحاق الهزيمة بالجيش الموحدي الذي أرسله المنصور في وقعة عمرة، من نظر قفصة.[٧] ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى يعقوب المنصور، توجه مسرعاً نحو ابن غانية ،والتقى به في مكان يقال له حامة دُقبوس، فهزمه وأصحابه شر هزيمة، واستطاع إسترداد قابس وتوزر وقفصة، ثم رجع إلى المغرب في

---

[١] Cambridge History of Africa, Prepared by a number of writers, vol. III, Cambridge University Press, ١٩٧٧, p. ٢٤٦

[٢] ابن عذاري: البيان المغرب ، ص ١٨١ ــ ١٨٢؛ ابن خلدون، العبر، ٦/ ٥٠٧ ــ ٥٠٨.

[٣] بنو سليم، كانوا يقطنون المنطقة التي تلي المدينة المنورة بالحجاز، وكانوا حرباً على الدولة العباسية. ولما ظهرت فتنة القرامطة بالبحرين وعمان، انضافوا إليها، فرحلهم الفاطميون بعد إخماد الفتنة إلى جنوب مصر، ثم أذنوا لهم بعبور النيل والتوجه إلى إفريقية بعدما توترت العلاقة بينهم وبين المعز بن باديس، وقطعه الخطبة لهم، وإباحته للعن أئمتهم في المساجد.أنظر: ابن الأثير: الكامل، ٩/ ٥٦٦؛ ابن خلدون: العبر،٦/ ٢٧ ــ ٤٠؛ ٢٩٥- ٢٩٤ .Terrasse, op. cit., pp.

[٤] المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨، ٣/ ٥٦٨.

[٥] ابن الأثير: الكامل، ١١/ ٥٢٠؛

Unesco, op. cit..., p. ٤٧.

[٦] Encyclopaedia of Islam, Prepared by a number of leading orientalists, vol. ١, London, ١٩٦٠, p. ١٦٥.

[٧] الناصري: الاستقصا، ٢/ ١٦٠ ــ ١٦١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١/ ٥٢٠ ــ ٥٢١.

عام ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨ م مارّاً بمدينة المهدية.[١] وقد أخذ بعض المؤرخين على يعقوب المنصور عدم متابعته لابن غانية بعد إنسحابه الى الصحراء، لأن ذلك في رأيهم كان سيمكنه من القضاء عليه وعلى حركته نهائياً.[٢] ولكن على ما يبدو أن ذلك لم يكن غائباً عن ذهنه، ولإنما كان يعلم صعوبة تنفيذها، لتمرس أنصار ابن غانية من بني سليم وغيرهم بأساليب العيش والتكيف في الصحراء ومعرفتهم بدروبها وأسرارها.

وفي عام ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩ م، عبر المنصور إلى الأندلس مجاهداً لما علم بتدهور الأحوال هناك. وبعد التمكن من إصلاح الأحوال، رجع إلى المغرب، حيث أتته الأخبار في العام نفسه بظهور يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية وأعوانه بإفريقية، فزحف نحوها. ولما دخل تونس، وجد إفريقية هادئة، لهروب ابن غانية إلى الصحراء بعدما سمع بخبر قدومه وتأكد من ضعفه أمامه.[٣] ولكن الأوضاع تأزمت مرة أخرى في عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣ م بإفريقية والأندلس. فقرر يعقوب المنصور التوجه نحو الأندلس، لأن الصراع هناك صراع عقديٌّ تمثل بنصارى الاندلس، بينما هو في إفريقية سياسي.[٤]

فانتهز ابن غانية وأعوانه الفرصة، فعاثوا في إفريقية فساداً، بل ذهبوا أبعد من ذلك فأعلنوا أن وجهتهم بجاية، وإذا سقطت في أيديهم، فسيتجهون صوب المغرب. ولما وصلت هذه الأنباء إلى يعقوب المنصور، تنازل عن تشدده مع نصارى الأندلس، وتصالح معهم على شروط معينة، ثم وجه السير نحو المغرب، فعاجلته المنية في ١٨ ربيع الآخر ٥٩٥ هـ/ ١٧ فبراير ١١٩٩ م، وقيل ١٨ جمادى الأولى ٥٩٥ هـ/ ١٨ مارس ١١٩٩، قبل أن يصطدم بابن غانية.[٥] وهنالك من يرى أنه أعد العدة للتوجه نحو إفريقية، إلا أن جنده توسلوا له أن يمهلهم حتى العام القادم، ليتمكنوا من الإلتقاء بأسرهم وإصلاح أحوالها. فأستجاب لطلبهم، لعلمه بطول مرابطتهم بالأندلس. وفي هذه الأثناء وافته المنية، فترك حسم المسألة الإفريقية لخلفه ابنه الناصر محمد.[٦]

---

[١] المراكشي: المعجب، ص ٣٩٣ ــ ٣٩٩؛ وابن خلدون: العبر، ٦/ ٥١٠؛ ابن الأثير: الكامل،١١/٥٢١ ــ ٥٢٢؛ الناصري: الاستقصا،٢/ ١٦١.

[٢] Unesco, General History of Africa, vol. IV, p. ٤٧.

[٣] الناصري: الاستقصا،٢/ ١٨٣ ــ ١٨٤.

[٤] ابن خلدون :العبر،٦/ ٥١١ ــ ٥١٢؛ Unesco , General History of Africa, vol. IV, p. ٤٩.

[٥] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢/ ١١٦ ــ ١٤٥.

[٦] الناصري: الاستقصا،٢/ ٢٠٣.

كثر شغب الميورقيين بإفريقية في بداية عهد الناصر، مستفيدين في ذلك من انشغال الموحدين بوفاة المنصور. إلا أن عهد الناصر يعتبر من الناحية العملية العهد الذي شهد ميلاد تقليم أظافر الميورقيين وكسر شوكتهم، وتشتيت شملهم. وتتمثل هذه السياسة في مهاجمة معقلهم ومقر دولتهم بميورقة، وفي الوقت نفسه تتبّعهم ومطاردتهم عسكرياً بإفريقية، واختيار والٍ ذي كفاءات عسكرية وسياسية عالية، وبصلاحيات واسعة لحكم إفريقية.

كان الموحدون على وعي تام بأهمية ميورقة وخطورتها على مستقبلهم السياسي. لذلك تكررت مساعيهم، وتعددت وسائلهم للإستيلاء عليها. ولكن هل كللت بالنجاح؟

حكى ابن خلدون أن علي بن غانية وأخاه يحيى لما أستقرا بإفريقية، تركا على ميورقة أخاهما طلحة. وفي عهد هذا الأخير، استطاع أخوه محمد وعلي بن الربرتير الخروج من معتقلهما بمساعدة بعض موالي بني غانية. فأستطاع محمد الاستيلاء على السلطة بميورقة، ثم راسل يعقوب المنصور طالباً منه المجيء لإستلام الجزيرة. لكن لما جاء أسطول المنصور بصحبة ابن الربرتير، رفض محمد الوفاء بوعده، وأستعان بملك برشلونة (Barcelona) فأعانه، فأغضب فعله هذا رعيته، فثاروا في وجهه، وطردوه، وولوا تاشفين بن غانية مكانه.[1] ويتضح هنا أن ابن خلدون في روايته يتحدث عن مؤامرة دبّر فصولها الموحدون، ونفذها عملاؤهم بميورقة. أما المراكشي، فقد أورد رواية مخالفة لذلك، تقول إن عبد الله بن غانية قد رحل إلى ميورقة لما آلت قيادة الميورقيين إلى أخيه يحيى، فوجدها قد دخلت في نطاق دولة الموحدين، بإعتراف أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن غانية بسلطتهم عليها. ولكن عبد الله إستطاع إنتزاع السلطة من أخيه محمد بمساعدة نجاح، أحد علوج والده، ونفيه إلى الأندلس، فأكرمه الموحدون هنالك وولوه مدينة دانية، [2] وهي مدينة ساحلية من مدن شرق الأندلس.[3]

تواصلت محاولات المنصور للإستيلاء على ميورقة، لكنها لم تحقق هدفها. أما أبنه وخليفته محمد الناصر، فقد سار على نهج أبيه تجاه ميورقة؛ إلا أنه أحاط غزوته لها في عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م بالسرية التامة. فتوجه نحو فاس. وللتمويه، فقد أشاع أن قبلته

[1] ابن خلدون: العبر،٦/ ٥١٥ ــ ٥١٦.

[2] المراكشي: المعجب ، ص. ٣٧٧.

[3] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت ،ص ٢٣١ ــ ٢٣٢.

هي إفريقية، لتخليص واليها الذي وقع في قبضة ابن غانية، لكنه أصدر أوامره من هنالك بإرسال جيش وأسطول لفتح ميورقة، وأسند قيادة الأول إلى أبي سعيد عثمان بن أبي حفص، أحد كبار شيوخ الموحدين، والثاني إلى عمه أبي العلاء، إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، فأستطاعا فتحها، وقتل واليها عبد الله بن إسحاق في ذي الحجة ٥٩٩ هـ/ أغسطس ١٢٠٣ م، فولى عليها عبد الله بن طاع الله الكَومي[١]، فظلت في يد الموحدين إلى أن أنتزعها منهم الملك جيم (Jaime)، ملك أرغون (Arragon)، في عام ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م، وكان واليها وقتذاك أبو يحيى بن علي بن أبي عمران، وقيل في ١١ صفر ٦٢٧ هـ/ ٣١ ديسمبر ١٢٢٩ م[٢].

ومما سبق يتضح الآتي:

أولاً: أن ثورة بنى غانية كانت امتداداً للدولة المرابطية ، وسعت بكل الطرق لإعادة الحكم المرابطى المالكى المذهب للمغرب والأندلس ثانية، وكانت بمثابة محاولة للملمة شتات الفرقاء المرابطين.

ثانياً: أن ثورة بنى غانية وجدت دعماً من الخلافة العباسية، ومن السلطان الأيوبى صلاح الدين الأيوبى الذى لعب دوراً فى دعم بنى غانية بالقوة والعتاد من خلال إرساله بعض مماليكه إلى بلاد المغرب لمعاونة بنى غانية،[٣] فضلاً عن تحسينه صورة بنى غانية لدى الخليفة العباسى، ومن ثم فلا عجب أن يصرح المنصور الموحدى مراراً بعد هذه الأحداث للموحدين أنه يريد الرحلة إلى المشرق وجعل يذكر البلاد المصرية ...ويقول نحن إن شاء الله مطهروها ، ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م.[٤]

ثالثاً: أن ثورة بنى غانية وجدت دعماً كبيراً من فقهاء المالكية الذين ناصبوا العداء للموحدين منذ بداية دولتهم، ولذا نجد الإمام والفقيه الشهير عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط يساند بنى غانية فى ثورتهم ويخطب الجمعة فى بجاية بحضور ابن غانية ،

---

(١) ابن خلدون، العبر،٦/ ٥١٦؛ الناصري، الاستقصا،٢/ ١٨؛ ٢١٨ .Terrasse, op. cit..., p.

(٢)José Luis Asin Peña, op. cit., pp. ٦٨-٦٩.

٣ رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبنانى والمصرى ، بيروت – القاهرة ، ص٦٣،٦٩،٧٠ ؛ إبراهيم على حسن ، يعقوب المنصور الموحدى ، ص٨٧-٨٩ ؛ عزاوى ، رسائل موحدية ، ٢/٨٢،٨٤.

٤ المراكشى: المعجب،ص٢٣٥.

ويدعو له وللخليفة العباسى، ومن ثم حنق عليه المنصور الموحدى وأمر بسفك دمه،[1] بل وطالب بنى غانية بقطع الخطبة لبنى العباس.[2]

رابعاً: أن ثورة بنى غانية اكتسبت قوتها كذلك من دعم الأعراب لها فقد اجتهد علي ابن غانية ومن بعده أخوه يحيى بن غانية في إبقاء الأعراب (بني هلال) [3] دائما إلى جانبهم لمراسهم الكبير في الحرب، ولكن في نفس الوقت كانوا يدركون مدى أنتهازية وجشع هؤلاء الاعراب، لذلك كان ابن غانية يبيح لهم أي مدينة سيتولي عليها ينهبونها كيفما يحلوا لهم، كما أنه هو نفسه كان يشارك في في هذا النهب لحاجته الماسة للمال لتمويل حروبه. فتذكر المصادر أنه في مدينة باشو(قرب تونس حاليا) دخلها يحيى ابن غانية بعدما أمن أهلها لكن الأعراب لم يصبرو على النهب فأنطلقوا يسلبون الناس أموالهم ويهتكون حرماتهم ففر العديد من سكان باشو في إفريقية لى تونس فداهمهم الشتاء ببرده وقتل منهم نحو ١٢ الفا على حد قول التجاني.[4]

خامساً: أن ثورة بني غانية كانت من أهم العوامل التي أدت إلى سقوط الدوة الموحدية العريقة إذ إن هذه الثورة أدت إلى إضعاف الدولة مما أدى إلى استغلال مختلف الزعامات لهذا الظرف والاستقلال بولاياتهم وأولهم هو الشيخ أبا زكريا ابن الشيخ أبا محمد فقد إستغل حب الناس له بسبب كونه ابن الشيخ أبا محمد الذي قهر ابن غانية وحمى الناس من شره فاستغل تصارع الموحدين على الحكم واستقل بأفريقية معلناً

---

[1] المراكشي: المعجب،ص٢٢٦،٢٢٧؛وانظر: وانظر: إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى ، ص٥٦.

[2] محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدى ، دار التأليف والنشر السلطانية ، الرباط ، ص٢٦،٢٧.

[3] بنو هلال قبيلة عربية هوازنية قيسية مضرية عدنانية، تنتسب إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . أصلهم يعود إلى وسط نجد حيث كانوا يعيشون في بادئ الأمر، هاجرت القبيلة من الجزيرة العربية إلى الشام ثم صعيد مصر ومنه انتقلت إلى باقي شمال أفريقيا. وتجمع المصادر التاريخية على أنّ الوجود الهلالي بالشمال الأفريقي هو عقوبة من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لأمير بنو زيري المعز بن باديس بعد تمرد هذا الأخير على الخلافة الفاطمية. وأباح المسؤولين الفاطميين للعرب عبور النيل، الأمر الذي كان ممنوعاً في السابق، فشجعوهم ب"قروة ودينار لمن جاز.أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص. ٢٧٥؛ ابن خلدون، العبر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط. ١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣، ج ٢، ص٢٣٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣، ٢/ ٣٢٤؛ سالم حميش، عن صورة المغرب الوسيط في التنظير الاستشراقي، المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، ١٤٠٣/ ١٩٩٣، ص٨٧-٨٨؛ عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب ،المركز الثافي العربي، الدار البيضاء ،٢٠١٢م، ص ٣٧١.

[4] التجاني: رحلة التجاني، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٥٨ ،ص ١٦٢.

ميلاد الدولة الحفصية ثم تبعه يغمراسن واستقل بالمغرب الأوسط وأعلنِ ميلاد دولة بني زيان ثم جاءت من بعده دولة بني مرين الذين تمكنو من دخول العاصمة الموحدية مراكش والقضاء عليها نهائيا.

٤- ويرتبط بثورات المالكية حركة قاضى القضاة ابن رشد الحفيد:

وكانت فى أصلها معارضة مالكية حيث إبتدأت بانتقاد الحكم الموحدى فى عصر المنصور ووصفه بالطغيان ، ثم تحولت إلى محاولة لقلب نظام الحكم ، وذلك بتأييد ابن رشد لأبى يحيي بن يوف بن عبدالمؤمن أخى المنصورِ الموحدى الذى ثار فى الأندلس على المنصور،[١] ومن ثم كان على المنصور بعد تخلصه من حركة أخيه أبى يحيي أن ينكب ابن رشد ويأمر بإحراق كتبة.[٢]

ثالثاً: معارضة المماليك الغز[٣] (من جنس الترك):

تشير المصادر أن المنصور وفي سبيل كسب جانب المماليك الغز أنه أقطعهم الأقطاعات التي تفوق أحياناً ما أقطعه لبني عمومته من الموحدين. فيذكر أنه أقطع واحد منهم يدعى شعبان قرى كثيرة تغل كل سنة نحوا من تسعة آلاف دينار، وأقطع آخر يدعى أحمد الحاجب مواضع قيل أنه لم يقطع مثلها لأحد من قرابته.[٤] ولكن كل ذلك الإحسان إليهم لم يمنعهم من العمل ضده فى إطار سياسة الطمع والإستحواز من ناحية ، وفى إطار تنفيذ سياسة صلاح الدين الأيوبى من ناحية أخرى بالضغط على المنصور الموحدى ــ ومن هذه الثورات والتمردات:

---

[١] أنظر: الضرورى فى السياسة، ص٢٠٨.

[٢] عنان: عصر الموحدين، ص٢٢٦،٢٢٧؛ وانظر:عبدالحميد عبدالله: ابن رشد وموقفه من قضية النقل والعقل ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين بطنطا ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٠م، ص١٠

[٣] الغز : مصطلح لغوي يطلق على اللغات التركية الغربية أو الأوغوزية من عائلة اللغات التركية) هو تحالف أو اتحاد قبلي تركي اصطلح على تسميته بدولة أوغوز ياغبو في آسيا الوسطى خلال فترة العصور الوسطى المبكرة .واسم أوغوز هو كلمة تعني قبيلة في العديد من اللغات التركية .هاجرت قبائل الأوغوز غربًا من منطقة جيت-سو بعد صراع مع القارلوق وهم فرع من الأويغور .ومن الأوغوز أو دولة الاوغوز ياغبو هذه تحدر مؤسسو الدولة العثمانية. ومن الأوغوز أيضًا تتحدر الشعوب المعاصرة لتركيا وقبرص الشمالية والبلقان وأذربيجان وغاغاوزيا وتركمانستان .يعتبر الأوغوز مؤسسي عدد من الممالك والإمبراطوريات المشهورة كالسلاجقة والعثمانيون والدولة الرسولية .

[٤] المراكشى : المعجب ، ص٢٣٨.

١ -تمرد شرف الدين قراقوش[١]:عندما كان ابن غانية يسقط مدن أفريقية (تونس الحالية) الواحدة تلوى الأخرى وفد على علي بن غانية شرف الدين قراقوش الأرمني،[٢] وكان قراقوش هذا من أتباع صلاح الدين الأيوبي.[٣] وسبب قدومه أن صلاح الدين أراد أن يتمرد على سيده نور الدين زنكي مما دفع الأخير لإستباقه المسير إليه وخشي صلاح الدين عاقبة ذلك فأرسل تابعه قراقوش ليحتل له مدن في أفريقية حتى يفر إليها صلاح الدين إذا غزاه نور الدين .[٤] وعلى الرغم من أن نور الدين توفي قبل المسير إلى صلاح الدين إلا أن قراقوش مع ذلك واصل مشروعه التوسعي في أفريقية، فصادف وصوله وصول بني غانية، أيضا فتعاهدا على التحالف ضد الموحدين.[٥]

وقد إستطاع هؤلاء الأتراك الاستيلاء على زويلة وفزان وودان وطرابلس. أما إنضمامهم إلى ابن غانية، فقد قيل إنه تم بتوجيه من صلاح الدين الأيوبي، الذي راسله الخليفة العباسي راجياً مد يد العون والمساعدة لابن غانية، الذي يعتبر انتصاره انتصاراً للدولة العباسية، لأنه يدين لها بالولاء والطاعة،[٦] ولعل ما يؤكد ذلك أن على بن إسحاق بن غانية لما دخل

---

[١]شرف الدين قراقوش هو غير بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين الأيوبى الذى ضرب به المثل بقولهم (حكم قراقوش). وشرف الدين قراقوش هو مملوك تقي الدين عمر أبن أخ صلاح الدين الأيوبى.أنظر: ابن العماد: شذرات الذهب،٤/٢٠١.

[٢]سَار شرف الدّين قراقوش إِلَى بِلَاد إفريقية ونَزل على الْحمام وَأَقَام عَلَيْهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا يقاتلها وَهدم فِيهَا ثغرة سدها أَصْحَابهَا بِالنَّخْلِ وأحرق مَا سدوا بِهِ وَقَاتلهمْ فَلم يقدر مِنْهُم على شَيْء ورحل عَنْهَا وهرب مِنْهُ ابْن شكل وَصَارَ إِلَى عرب يُقَال لَهُم عَوْف عِنْد مقدم مَعَهم يُقَال لَهُ جنَاح بن عقيل وَكَانَ الأكراد قد أفسدوا عقله وَقَالُوا لَهُ إِذا صرت عِنْده لحقناك وتَكون سُلْطَانا لنا وتملك الْبِلَاد فَلَمَّا مضى لم يلْحقهُ من الأكراد أحد وَبَقِي عِنْد الْعَرَب مَعَه قريب من عشْرين رجلا وَوصل سيد النَّاس وَأَخُوهُ الْمَنْصُور إِلَى شرف الدّين قراقوش ودخلوا فِي طَاعَته وحالفهما وحلفا لَهُ وأعطاهما عطايا جزيلة ولدخولهم فِي طَاعَته فَرح أهل بشترى وانقادوا خوفًا من أَن يحصرهم بِأَهْل بِلَادهمْ وَولى عَلَيْهِم رجلا يُقَال لَهُ حراج كَانَ يخْدم عِنْد وَالِدي الْملك المظفر بديار مصر وَوصل إِلَيْهِ فِي الْجَمَاعَة الَّتِي وصل فِيهَا ابْن شكل وَسَار عَنهُ وَتَوَلَّى بفزارة وكَانَت ولَايَته فِيهَا ولَايَة ضَعِيفَة ورحل شرف الدّين عَن الْحمام وَدخل إِلَى إفريقية وَنزل بجزيرة باشو من أعمال تونس . أنظر: تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي : مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ص٢٠٢.

[٣] ابن أبى زرع: روض القرطاس ،ص٢٨٧؛ وقد ورد إلى المغرب فى سنة ٥٨٢ه أو ٥٨٣ه جماعة من مماليك الغز من مصر وكان من جملة من ورد مملوك يسمى قراقش أو قراقوش ،ورجل يسمى شعبان قيل من امراء الغز، ومن أجناد المصريين رجل يعرف بالقاضى عماد الدين فى آخرين ، وكان المنصور قد اكرمهم وبالغ فى عطائهم إلا أنهم خانوه وتحالفوا مع بنى غانية ضده.أنظر:المراكشى: المعجب،ص٢٣٨.

[٤]إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٨٧-٨٩ ؛ أحمد عزاوى: رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ط١٤١٦،١هـ/١٩٩٥م، ٢/٨٢،٨٤.

[٥] التجاني: رحلة التجاني، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٥٨،ص٢١٨.

(٦) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، بيروت، ١٩٨١، ٢/ ٨٠٣.

بجاية وأقام بها سبعة أيام صلى الجمعة وخطب ودعا لبنى العباس ثم للخليفة أبى العباس أحمد الناصر.[1]

تناهى إلى علم المنصور خبر تحالف قراقوش مع ابن غانية وإن كثيراً من مدن أفريقية قد سقطت في ايديهم، ناهيك عن العبث والفساد وترويع الآمنين الذي كانت تقوم به- الأعراب (بنو هلال) العنصر الغالب في جيش ابن غانية وقراقوش - وهكذا جهز المنصور جيشا قوامه ٢٠ الف جندي بربرى وخرج من مراكش العاصمة الموحدية في٣ شوال ٥٨٢هـ/ ١٨ديسمبر ١١٨٦م وسار حتى ووصل إلى مدينة تونس في صفر ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ولكن المنصور أخطأ خطأ فادحا حين لم يعجل بحرب ابن غانية مما أعطى الفرصة لعلي ابن غانية للإستعداد للحرب أكثر، ثم أن خلافا وقع بين قادة الجيش الذي بعث به المنصور لحرب ابن غانية أدى إلى دخول الجيش دون خطة منسقة فما أن التقى مع جيش بني غانية حتى هزم الجيش الموحدي ونال منه بني غانية مقتلة عظيمة. وقتل في هذه المعركة قائد الجيش الموحدي ابن اليرموم وعلي ابن الربرتير الذي وقع في أسر ابن غانية فعذبه عذابا شديدا جزاء على ما فعله باسرته في ميورقة ثم قتله. ومما زاد من وطأت الهزيمة أن كثير من جرحى الجيش الموحدي قد لجئوا الى مدينة قفصة فتظاهر علي ابن غانية باعطائهم الأمان ولكن ما إن خرجوا إليه حتى أمر بقتلهم والإجهاز على الجرحى منهم فكانت بذلك هزيمة مضاعفة للموحدين،[2] وكان ذلك في مكان يسمى فحص عمرة في ١٥ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ/ ٢٥مايو ١١٨٧م .[3]

بلغت هذه الهزيمة المنصور وهو في تونس فأستشاط غضبا وقرر خوض المعركة القادمة بنفسه هذه المرة. وأخذ يحث الناس على تجديد العزيمة للحرب وعاقب كل جندي أبدى تخاذل في الذهاب للقتال، كما رفض أي عرض من وزرائه بقيادة المعركة بدل عنه. ثم أن المنصور ابتدأ حربه بخطة ذكية حيث هاجم منازل الاعراب المتعاونين مع ابن غانية فنكل بهم وشردهم وبذلك ضرب ابن غانية في أهم عنصر في جيشه، ثم

[1] المراكشي: المعجب،ص٢٢٦.

[2] ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ١٢٤.

[3] قرب قفصة في الجنوب التونسي حاليا.

إتجه للقاء ابن غانية في مكان يقال له الحامة[1] في ٩شعبان ٥٨٣هـ / ١٥ أكتوبر١١٨٧م، حيث دارت الدائرة على ابن غانية وحليفه قراقوش هذه المرة وعلى الرغم من أن قراقوش استطاع النجاة إلا أن علي ابن غانية فر من المعركة وهو مثخن بالجراح فلجأ إلى خيمة عجوز أعرابية في الصحراء وتوفي عندها متأثرا بجراحه، فبايع بعده بنو غانية أخاه يحيى بن غانية الذي كان لا يختلف عن أخيه شدة وإقداما وحقدا على الموحدين.[2]

سار المنصور بعد هذا الفتح العظيم إلى باقي المدن التي تقع تحت سيطرت بني غانية وأسترجعها جميع. وكانت قفصة وهي مدينة منيعة تحصن بها كثير من أتباع قراقوش ، وابن غانية، ناهيك المقتلة العظيمة التي أصيب بها الجيش الموحدي على يد علي ابن غانية، فسار إليها المنصور وحاصرها وأبدى أهلها مقاومة عنيفة في اليوم الأول، لكنهم لما شهدو هول الحصار خشوا على أنفسهن وخرجوا يطلبون الأمان، فأمن المنصور من لم يشترك في القتال اما المتعاونين مع ابن غانية فأمر بذبحهم اجمعين أمامه، إنتقاما من قتلة جنده، وبذلك تمكن المنصور من قمع ثورة بني غانية، ولكن إلى حين.[3]

في المشرق، أحس صلاح الدين الأيوبي أن جهوده وحده لا تكفي لمحاربة الصليبيين مما دفعه لمراسلة يعقوب المنصور يطلب منه إنجاده بأساطيل الدولة الموحدية العتيدة، وفي نفس الوقت أوعز إلى تابعه قراقوش بالكف عن الثورة ضد الموحدين حتى لا يشكل ذلك عائقا للمساعدة المرجوة. لذا وبينما كان المنصور يحاصر قفصة في حملته على بني غانية وحلفائهم جاءه فجأة كتاب من قراقوش يدعي فيه التوبة والدخول في طاعة الموحدين،[4] لكن المنصور ظل لا يثق في صلاح الدين الأيوبي ونوياه التوسعية فرفض أن يساعده وأعتذر عن ذلك، بالإضافة إلى أن يعقوب المنصور كان مشغولا بدوره بمحاربة الصليبيين في الأندلس، فلما علم قراقوش أن

---

[1] قرب توزر في الجنوب التونسي حاليا، وتعرف حامة البهاليل وهى من بلاد قسطيلة، ولها حصن يسمونه بالقصر.أنظر:مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، معد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ص١٥٧.

[2] ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ١٩٧.

[3] ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب، القسم الموحدي، ص ٣٠٠.

[4] إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى، ص٦٦.

توبته المزعومة لم تأت أكلها عاود التمرد من جديد وأخذ يسعى إلى توسيع رقعة نفوذه هو اللآخر.[1]

لم يدم الامر طويلاً حيث أضطر المنصور للتوجه الى الجبهه الشمالية للأندلس ومواجهة الخطر المسيحي مما خلا الجو لابن غانية وقراقوش في أفريقية (تونس حاليا) فظهرت عند ذلك نوايهما الحقيقة في التطلع الى الحكم والسلطه، وأصبح كل واحد يرى في الآخر عائقا له في سبيل تحقيق طموحاته ويسعى للتخلص من غريمه بأي شكل، فأرتكب قراقوش خطأه القاتل حيث أراد قراقوش بعد أن رجع عن توبته أن يجمع المال بأسرع وقت ليمول بها حروبه الجديدة ويلحق بغريمه يحيى ابن غانية- الذي فاته بأشواط كبيرة أثناء فترة تظاهر قراقوش بالتوبة- فدعى قراقوش لذلك نحو ٧٠ شيخا من شيوخ الأعراب إلى مأدبة ثم غدر بهم وقتلهم وأستولى على أموالهم. فثارت ثائرة الأعراب لذلك وصمموا على الإنتقام منه، وبالطبع لم يكن ابن غانية ينتظر سوى هذه الفرصة فعندما جمع قراقوش جيشه وسار لحرب ابن غانية إستعان ابن غانية بأبناء الأعراب الذين غدر قراقوش بآبائهم وهزمه شر هزيمة وفر قراقوش. وقد بلغ ابن غانية بعد ذلك أن قراقوش موجود في ودان(جنوب ليبيا حاليا) في حصن هناك يسمى محسن، فجمع الأعراب على العجل وساروا إليه وحاصروه حتى نفذ طعامه واضطر إلى أن يسلم لهم فضربوا عنقه مع إبنه في ضواحي ودان، وأنتهى بذلك أمر قراقوش.[2]

٢-ثورة يوزبا صاحب قراقوش: هو زين الدين يوزبا[3] من أتراك مصر وكان مملوكاً لتقي الدين الأيوبي وأحد قادته، وقد أرسلة تقي الدين في حملتة الثانية لبلاد المغرب سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م بعد أن شجعه مملوكة قراقوش واصفاً الأوضاع في بلاد المغرب بقولة" إن البلاد سائبة".[4] إلا أن تحسن العلاقات بين تقي الدين وعمه صلاح الدين دفع الأول الى الطلب من جنده في بلاد المغرب بالتخلي عن فكرة البقاء العوده إلى مصر ومنها التوجه الى الشام. فمتثل الجند لأوامره سوى مملوكة يوزبا الذي إصطحب مجموعة من العسكر وأتجه بهم الى المغرب حيث غلب على أفريقية سنة

---

[1] ابن خلدون: العبر ، ٣٩٦/٦؛ وانظر:محمد عبد الله عنان، دولة المرابطين والموحدين، ٢١٠/٢.

[2] التجاني: رحلة التجاني، ص١٤٢.

[3] يرد أسمه عند المقريزي بزين الدين بوري. المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية،بيروت،ط ١، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م ،ج٢٠٥/١.

[4] ابو شامة. الروضتين في أخبار الدولتين. تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت. ج ٣، ص ١٦٥.

١١٨٦/٥٨٢م. وقد دفع ذلك الخليفة المنصور بن يوسف بالمسير إلية وهو ما دفع يوزبا الى التضرع وطلب الصلح والقبول من المنصور وهو ما تم. إلا أن يوزبا سرعان ما نكث العهد وأستبد على طرابس. [١] ثم لم يلبث أن شوهد يوزبا بالمهدية وهو موثقاً بالحديد بعد أن قبض علية قراقوش وأرسله إلى صاحب تونس ليرسله إالى بلاد الأندلس حيث يعسكر الخليفة المنصور بعساكره.[٢] إلا أن المنصور بدا له إمكانية الأستفاده من خبراته القتالية ولذلك قيل أنه أرسل الى ثغر من الثغور حيث أظهر حسن بلائه مما جعل الموحدين يقدمونه على الجند.[٣]

رابعاً المعارضة العربية :

١-تمرد عرب إفريقية على المنصور الموحدى: تقلد المنصور الحكم وكان العرب أول المبايعين له حيث كان أول من بايعه أعيان زغبة في تلمسان ومن معهم من العرب بقصر مصمودة وهو في طريقه إلي مراكش لتقلد السلطة،[٤] ولكن وبعد عدة شهور من جلوسه علي العرش غزا بنو غانية مدينة بجاية الخاضعة للسلطة الموحدية، وتحالفوا هناك مع بنو سليم وجشم وبعضًا من بطون رياح والأثبج حيث أستطاع إستمالتهم وتأليبهم علي الموحدين بعدما كانوا هولاء العرب في مرحلة من السكون والحياد [٥]. ولكن في الوقت نفسه ظل بعض هؤلاء العرب على انحيازهم ووقوفهم مع للموحدين.

إستطاع بنو غانية وحلفائهم من العرب من توسيع نقاط سيطرتهم، حيث دخلوا الجزائر ومليانة وأشير، وتغلُّبوا علي بعض علي بلاد الجريد ، وضيقوا علي ما بقي منها.[٦]

فكان رد الفعل الموحدي هو إرسال أسطول بحري وجيش بري سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م لرد بجاية ولطرد بني غانية الذين أعادوا الفوضى مرة أخري إلي إفريقية ، حيث

---

[١] مجهول: الاستبصار،١١١/١.

[٢] أبو شامة: الوضتين. ج٣، ص ١٦٥.

[٣] ابو شامه. الروضتين. ج٣، ص ١٦٦.

[٤] محمد المغراوى: الهجرة العربية الكبرى إلى المغرب الأقصى فى عهد يعقوب المنصور الموحدى،منشورات المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنى غازى،ص٣١٨.

[٥] ابن خلدون: العبر،٤٥/٦؛وانظر: هويثى ميراندا: التاريخ السياسى للإمبراطورية الموحدية،ترجمة عبدالواحد أكمير،منشورات الزمن،الدار البيضاء،٢٠٠٤م، ص٣٢٠؛ أحمد عزاوى: رسائل موحدية،٧٧/١.

[٦] عبدالرحمن بشير: من تاريخ تونس الإسلامى،دار عين،القاهرة، ط١٤٣٤،١ه/٢٠١٣م،ص٣٠.

إستطاع الموحدون إسترداد بجاية لكنهم لم يمنعوا الفوضى، فقرر المنصور الخروج من مراكش في شوال سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م علي رأس جيش من الموحدين ليعيد الأمر إلي نصابه. إلا أن المنصور عزف عن اصطحاب الفصيل العربي في جيش الموحدين معه ، وأصطحب معه منهم فقط من وثق فيهم من أشياخ رياح كبني زيان مراعاة لقدم هجرتهم وإخلاصهم في خدمة الموحدين؛ فقد ساء ظنه فيهم لتعاطفهم واتصالهم بإخوانهم عرب إفريقية ، وأنضمت إليه زغبة من عرب إفريقية.[١] وعلى الرغم من أن أعداد العرب في جيش الموحدين كانت قليلة فإن المؤرخ ابن عذارى حملهم مسئولية الهزيمة أمام بني غانية في موقعة عمرة بالقرب من قفصة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م لأنهم كانوا "غير محاربين ، ولا بالنجدة مرتسمين" وتركوا الموحدين فريسة في أيدي بنو غانية.[٢]

إستعاد المنصور زمام الأمور بعد الهزيمة وخرج بنفسه من تونس في شعبان ٥٨٣هـ/١١٨٧م لملاقاة بني غانية وحلفائهم من العرب وغيرهم، فهزمهم هزيمة كبرى عند منطقة الحمة التي تقع بين قابس ونفطة ببلاد الجريد سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، حيث ترك العرب ابن غانية يواجه مصيره وهربوا. بعد هذه الهزيمة أخذت أعلنت قبائل جشم ورياح طاعتها للمنصور الذي بدوره قام فنفاهم إلي المغرب الأقصى.[٣] كما أرسل المنصور بطون العاصم ومقدم من الأثبج إلي المغرب الأقصى حيث أنزلهم تامسنا مع جشم.[٤] هذا الترحيل الجماعي كان مما لا شك فيه لأسباب أمنية توازنية بالدرجة الأولي،[٥] وذلك لعدم الوثوق والطمأنينة بهم ولكسر شوكتهم، إلى جانب إستخدامهم في جهاده ضد النصارى الأسبان،[٦] حيث زاد منهم في جيشه بعد عفوه عنهم ، وصيَّرهم من جملة الأجناد.[٧]

---

[١] ابن عذارى: البيان المغرب،١٨٦/٤؛وانظر:مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين،الدار البيضاء،١٩٨٣م،ص٧٦.

[٢] ابن عذارى: البيان المغرب،١٨٨/٤.

[٣] ابن خلدون: العبر،٤٥،٤٦/٦؛وانظر: إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى،ص٦٦.

[٤] ابن خلدون: العبر،٥٢/٦.

[٥] محمد عبدالعمر: الإقطاع وأثره السياسى والاجتماعى فى المغرب خلال عصر المرابطين والموحدين،رسالة دكتوراة،آداب عين شمس،٢٠٠٧م،ص٢٦٢،٢٦١.

[٦] روجى لى تورنو: حركة الموحدين فى المغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر،ترجمة أمين الطيبى،الدر العربية للكتاب،ليبيا-تونس،١٩٨٢م،ص٨٥.

[٧] ابن عذارى: البيان المغرب،١٩٢/٤.

٢-ومن حركات المعارضة العربية ثورة الرجل الأشل سنة ٥٨٩ه/١١٩٣م:

الذى بدأ حركته وسط المحيط العربي ولقى دعماً كبيراً منهم وتأييداً له: وكان هذا الثائر الذي لا تعرف المصادر التاريخية حتى أصل اسمه غريب الأطوار سوى أنه كان يلبس الفاخر من الثياب، ويعتم بعمامة خضراء، ومعه سيف محلى، ويتحدث بلغة حضارية.[١] ويزعم لأصحابه أن له معرفة بعلم الحدثان، وأنه موعود بأمره، وأن النبوءات نصت على خبره، وأنه لا بد أن يصل إلى غايته.[٢] كان خروجه سنة٥٨٩ ه /١١٩٣م في بلاد الزاب،[٣] ودعا لخلع الموحدين ومبايعته بالخلافة، وأجتمع له أتباع كثير من الأعراب وسفلة الناس وغوغائهم، وقد كثرت اضطراباته في بلاد الزاب واعتداءاته، عندها أمر المنصور السيد أبا زكريا صاحب بجاية بإنهاء أمره، فأخذ يبحث عنه، وتمكن من استدراجه وقتله بإجبار العرب على معونته في ذلك.[٤]

وتشير المصادر إلى تفاصيل القبض علية ومتقتله إلا أن الأشل كان قد نجح فى غواية عدد كبير من العرب، وقد حاول أبو زكريا صاحب بجاية معهم مراراً أن يبلغوا عن الثائر الأشل وفى كل مرة يرفضون إلى أن دخل صاحب بجاية قلعة بنى حماد ودعا وجوه القوم من العرب وأعيانهم إلى مأدبة كبيرة. فلما اجتمعوا عنده أغلق أبواب القلعة وقبض على أبنائهم وقيدهم وجمع آباءهم وأقسم أن لا يحل وثاقهم إلا بتسليم الثائر الأشل أو رأسه ،أو أن تحمل رؤسهم إلى المنصور بدلاً عن الثائر ، فإمتنعوا عن تسليم الثائر، فتدخلت نساء العرب وطلبوا من الأباء أن يسلموا الثائر قائلين لهم : "أيقتل ابناؤنا برجل منافق ذى جبل سارق؟.." وكادت أن تقع فتنة بين القبائل بين مؤيد لتسليم الثائر ورافض، وأنتهى الأمر إلى تسليم الأشل الثائر فضربت عنقه ، وعلقت رأسه على أبواب مدينة بجاية ، وأخلى أبو زكريا صاحب بجاية سبيل المعتقلين.[٥]

---

[١] ابن عذارى: التواريخ،ص١٠٩.

[٢] ابن عذاري: البيان المغرب، ٢١٥/٤،٢١٦.

[٣] بلاد تقع بالمغرب على نهر جرار بين تلمسان وسجلماسة، عليه بلدان كثيرة، مثل بسكرة وتوزر وقسطنطينية وطولقة وقفصة وغيرها.أنظر: البغدادى: مراصد الاطلاع،٦٥٣/٢،٦٥٢.

[٤] ابن عذاري: البيان المغرب، ٢١٥/٤-٢١٧. وانظر عنان: دولة الإسلام في الأندلس،١٩٢/٥،١٩٣. إبراهيم علي حسن: يعقوب المنصور الموحدي. ص ٦٦.

[٥] ابن عذارى: البيان المغرب،٢١٥/٤-٢ز٧. وانظر: خليل إبراهيم السامرائى وآخرون:تاريخ المغرب العربى،دار المدار الإسلامى،بيروت،٢٠٠٤ م،ص٣٧٧.

خامساً: المعارضة البربرية:

يرجع البربر فى أصلهم إلى فرعين هما البرانس، والبتر، ويرجع الموحدون إلى مصمودة أكبر قبائل البربر وهى من البرانس والتي كانت تسكن أقاصى المغرب. إستطاع الموحدون أن يكونوا تجمعا من قبائل عدة من البتر والبرانس مثل هرغة، وكومية، وهنتانة، وجنفيسة، وجدميوة، وبعض قبائل صنهاجة وهسكورة،[1] ورغم أن الموحدين فى أصلهم كانوا برابرة أو أمازيغ فإن ابن تومرت وصف البرابر من مؤيدى المرابطين أو المعارضين للموحدين بالمفسدين، المتزينين بالفقه، والمتسمين بإسم العلم، وكان شغبهم يقاوم بشدة وعنف،[2] ومن ثورات البربر فى عهد المنصور:

***ثورة محمد ابن عبد الكريم الرجراجي:**[3]

بعد أن تخلص ابن غانية من قراقوش ظهر وكأن أفريقية خلصت له أخيرا لكن ظهور شخصية ابن عبد الكريم الرجراجى أثبت العكس. ويعود أصل ابن عبد الكريم إلى قبيلة كومية البربرية- أي نفس القبيلة التي ينتمي إليها الموحدين -وقد ظهر أمره في محاربة الأعراب الذين يحترفون قطع الطريق والإغارة على الآمنين فملك بهذا العمل قلوب الناس وأصبحوا يدعون له في المساجد وأطلق الولاة يده في الغنائم يأخذ منها ما يشاء.[4] وحدث أن حاول والي المهدية أبو سعيد بن أبى حفص بن عبدالمؤمن التدخل في تقسيم الغنائم وأهان ابن عبد الكريم لما تبرم من ذلك فغضب ابن عبد الكريم وصمم على الإنتقام لكرامته المهدورة، وجمع أصحابه الذي كان يغزو بهم الأعراب ودخل المهدية وقت الفجر فداهم قصر أبا سعيد واعتقله في شعبان ٥٩٥هـ/١١٩٩م وأعلن نفسه حاكماً جديداً على المهدية ونواحيها وتلقب بالمتوكل بالله.[5] ولم يزل أبو سعيد بن أبى حفص بن عبدالمؤمن معتقلا عند ابن عبدالكريم إلى

---

[1] مجهول: نبذة تأريخية فى أخبار البربر ، نشر ليفى بروفنسال، رباط الفتح ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٣٤، ص٦٤ .

[2] ابن عذارى: البيان المغرب ، ص١٠٢.

[3] استمرت هذه الثورة حتى عصر محمد الناصر بن المنصور الموحدى ، حيث قضى عليها سنة ٥٩٧ه أى بعد وفاة المنصور بسنتين.أنظر: ابن خلدون:العبر،٦/١٩٥،١٩٤.

[4] محمود مقديش: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار،١/٥١١،٥١٠.

[5] التجانى: رحلة التجانى،ص٣٥٢،٣٥١.

أن وصل فداؤه من قبل أخيه أبي سعيد ابن أبي حفص على يدي محمد بن عبد السلام الكومي خمسمائة دينار ذهبا، فأطلقه ابن عبد السلام وكان صهرا لابن عبد الكريم.[١]

توفى المنصور الموحدى فى ذلك التوقيت ، وتولى أمر الدولة ابنه محمد الناصر وبلغته هذه الأنباء في مراكش فعزل والي المهدية وأفريقية وأرسل آخرين مكانهما، لكن ابن عبد الكريم ترصد لهما وقت نزولهما من البحر وهاجمهما وقتل العديد من الجند القادم معهما.[٢]

وبالطبع كان لا بد أن يتخلص ابن غانية أو ابن عبد الكريم أحدهما من الآخر فالاثنين طامعين في ملك أفريقية ووجود كل واحد خطر على الآخر، ومن ثم جمع ابن عبد الكريم جيشه على عجل وسار للقاء ابن غانية لكن ابن غانية كان قد إستعد له وتحصن جيداً في قابس فلما وصل ابن عبد الكريم إلى قابس ذهل من مناعاتها ويأس من إمكانية دخولها، فسار إلى قفصة واستولى عليها، فاستغل ابن غانية الفرصة وخرج من حصن وسار إلى ابن عبد الكريم في مكان يسمى قصور لالة، فكانت الدائرة على ابن عبد الكريم وانهزم هزيمة ساحقة حيث فر إلى المهدية وتحصن بها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م. [٣] وهنا لجأ ابن غانية إلى الحيلة فأرسل إلى حاكم تونس الموحدي يعرض عليه السلام والمصالحة وأن يعينوه بسفينيتن يطبقون بها الحصار على ابن عبد الكريم من جهة البحر، فاستجاب له الموحدون وأطبقوا الحصار على ابن عبد الكريم من البحر وهنا ظهر مكر ابن غانية إذ إنه أرسل إلى ابن عبد الكريم يعرض عليه الأمان إذا استسلم له وسلم مفاتيح مدينة المهدية فقبل ابن عبد الكريم ،وهنا قبض ابن غانية عليه وعلى ابنه وسجنهما فى سجنين متفرقين.[٤] وبعد أيام أخرج ابن عبد كريم ميتا ولا أثر لقتل فيه، حيث يقال أن ابن غانية كان قد دس له السم. أما ابنه فقد تظاهر ابن غانية بنفيه إلى جزيرتهم ميورقة ولكنه ما أن وصلوا إلى القل،[٥] حتى رموه في البحر مقيدا.[٦]

---

[١] محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،١/٥١١.

[٢] ابن الأثير: الكامل،٧/٢٤٦،٢٤٥؛وانظر: التجانى:رحلة التجانى،ص٣٥٤،٣٥٣.

[٣] محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ص٥١٢.

[٤] التجانى: رحلة التجانى،ص٣٥٤؛ وانظر: محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ص٥١٣.

[٥] قرب قسنطينة في الشرق الجزائري.

[٦] التجانى: رحلة التجانى، ص٣٥٤؛ وانظر: محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ص٥١٣.

الخاتمة

وفى نهاية الدراسة يمكننا أن نستخلص بعض النتائج ومنها:

- أن المنصور الموحدى يعتبر بحق هو المؤسس الحقيقى للدولة الموحدية حيث قضى على العديد من حركات المعارضة ، وساهم فى تنمية دولة الموحدين سياسيا واقتصاديا وعمرانيا .
- أن المنصور أول من أعلن صراحة فساد أقوال محمد بن تومرت الهرغى - والمعروف بالمهدى بن تومرت- في فكرة العصمة والمهدية، وقال بأن هذا من الضلالات، وأنه ليس لأحد عصمة بعد الأنبياء.وكان لهذا الإعلان أثره فيما بعد حيث قام ابنه المأمون بإسقاط تعاليم المهدى بن تومرت وإبطالها.
- أهم ما يميز عصر هذا المنصور الانتصار الذى حققــه على الفونســو الثامن Alfonso VIII ملك قشتالة عام ٥٩١هـ/١١٩٤م في موقعة الأرك الشهيرة. الذى ترتب عليها سقوط بعض المدن والحصون الهامة فى يد المنصور.
- تعدد حركات المعارضة فى عهد المنصور الموحدى بالمغرب والأندلس وشملت معارضة من قبل أقاربه الموحدين ، وتحديداً من إخوته وبنى عمومته ، ومعارضة من قبل فلول المرابطين المتمثلين فى بنى غانية،ومعارضة من قبل المماليك الترك(الغز) الذين أرسل بعضهم صلاح الدين الأيوبى إلى بلاد المغرب ،ومعارضة من قبل البربر تارة، ومن قبل بعض القبائل العربية تارة أخرى، وأخيراً المعارضة المالكية.
- أن أحد حركات المعارضة الموحدية ضد المنصور الموحدى لقيت تاييداً من قبل قاضى القضاة ابن رشد الحفيد ، ومن ثم كانت احد اسباب تنكيب ابن رشد وإحراق كتبه.
- كان من نتيجة قضاء النمصور الموحدى على المعارضة الموحدية أن هابه بقية أقاربه وخافوه، بعد أن كانوا متهاونين بأمره محتقرين له، ولم يزل أمر القرابة من يومئذ في خمول، ولم يعد أحد منهم يجرأ على لبس اللونالذى يلبسه المنصور من الملابس.
- كان لسقوط دولة المرابطين المالكية وقيام دولة الموحدين ظاهرية المذهب أثر كبير على ظهور معارضة مالكية للدولة التى أقصت حكم المرابطين وقضت

على المذهبية المالكية ، فظهرت العديد من ثورات المالكية التى قام بها بعض الفقهاء والقبائل قبل عصر المنصور الموحدى فى المغرب والأندلس ومنها ثورة سبتة بزعامة القاضى عياض وثورة محمد بن عبدالله بن هود الماسى بالسوس سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وثورة لبلة بزعامة على الوهيبى وجماعة من المالكية ، وكانت هذه الثورات المالكية مقدمة للثورات المذهبية المالكية التى قامت فى عهد المنصور الموحدى.

- أن أخطر ثورات المالكية ضد المنصور بل أخطر حركات المعارضة قاطبة كان ثورة بنى غانية التى استخدمت فقهاء المالكية فى صفها فى إطار الصراع المذهبى المالكى الظاهرى .
- أن معارضة المماليك الغز ضد المنصور الموحدى كانت فى إطار سياسة الطمع والاستحواز من ناحية ، وفى إطار تنفيذ سياسة صلاح الدين الأيوبى من ناحية أخرى بالضغط على المنصور الموحدى ــ
- أن المعارضة العربية والمعارضة البربرية ضد المنصور مثلت صراعاً حقيقياً بين العرب والبربر من ناحية ، وبين دولة سقطت هى دولة المرابطين ودولة قامت على أنقاضها هى دولة الموحدين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- أحمد بابا التنبكتى: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرام ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ١٩٨٩م.
- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس،تحقيق عبدالوهاب بن منصور ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
- التجاني: رحلة التجاني، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٥٨.
- تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي : مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن عذارى: التواريخ فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية، تحقيق سليمان عبدالغنى مالكى،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة،ط١٤٣٣،١ه/٢٠١٢م.
- ابن عذارى: البيان المغرب ،تحقيق محمد إبراهيم الكنانى وجماعة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، قسم الموحدين.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في ذكر تاريخ بلاد الأندلس والمغرب، الدار المغربية لنشر الدار البيضاء.
- ابن العماد: شذرات الذهب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د.ت).
- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس،دار صادر، بيروت ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨١م.
- ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، دار المعارف بمصر،١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،١٩٣٧م.
- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت.

- ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.
- رحلة ابن جبير: دار الكتاب اللبنانى والمصرى ، بيروت – القاهرة.
- ابن القطان: نظم الجمان،تحقيق محمود على مكى،دار الغرب الإسلامى،ط١، ١٩٩٠م.
- القلقشندى: صبح الأعشى، تحقيق يوسف على،دار الفكر،دمشق،ط١، ١٩٨٧م.
- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، دار الغد العربى ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٦م.
- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناقوط ومحمد نعيم العرقسوسى ، مؤسسة الرسالة ، ط١٤١٩،١١هـ/١٩٩٨م.
- الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، اعتنى به غسان داوود،دار العراب، دار نور حوران، دمشق،٢٠١٦م.
- ابن رشد : الضرورى فى السياسة ، ترجمة أحمد شحلان ، تقديم محمدعابد الجابرى، مركزدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م.
- رسائل موحدية: إصدار إ. ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٤١م.
- السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧م.
- السيوطى، تاريخ الخلفاء ، دار الفكر، القاهرة ، د.ت.
- أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨م.
- المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية،بيروت،٨ أجزاء. ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م
- المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد زينهم ، دار الفرجانى ، القاهرة.
- مجهول:الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- مجهول ، نبذة تأريخية فى أخبار البربر ، نشر ليفى بروفنسال، رباط الفتح ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٣٤م.
- محمود مقديش: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم على حسن: يعقوب المنصور الموحدى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
- أحمد عزاوى: رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ط١٤١٦،١هـ/١٩٩٥م.
- عبدالهادى التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، بدون دار نشر.
- عبدالرحمن بشير: من تاريخ تونس الإسلامى، دار عين،القاهرة، طبعه١٤٣٤ه/٢٠١٣م.
- عبدالله كنون: النبوغ المغربى فى الأدب العربى.
- عبدالله العروى: تاريخ المغرب ، ترجمة ذوقان فرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.
- عبدالحليم عويس: دولة بنى حماد ، دار الوفاء ، المنصورة ، دار الصحوة ، القاهرة ، طبعه ٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- عز الدين عمر موسى: الموحدون فى الغرب الإسلامى ، دار الغرب الإسلامى ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة ،١٤١٤ه/١٩٩٣م.
- حمدى عبدالمنعم محمد حسين: مدينة سلا فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٩٣م.
- خليل إبراهيم السامرائى وآخرون: تاريخ المغرب العربى،دار المدار الإسلامى، بيروت،٢٠٠٤م.
- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، بيروت، ١٩٨١م.
- صالح الأشتر: معركة الأرك، دار الشرق العربى ، بيروت.
- ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب فى الذكرى المئوية الثامنة لوفاته ، راجعه مقداد عرفه ، منشورات المجمع الثقافى ، تونس ، ١٩٩٩م.

- روجى لى تورنو: حركة الموحدين فى المغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر،ترجمة أمين الطيبى،الدر العربية للكتاب،ليبيا-تونس،١٩٨٢م.
- محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدى، دار التأليف والنشر السلطانية، الرباط.
- محمد المغراوى: الهجرة العربية الكبرى إلى المغرب الأقصى فى عهد يعقوب المنصور الموحدى، منشورات المركز العالمى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنى غازى.
- مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبنى مرين،الدار البيضاء،١٩٨٣م.
- هويثى ميراندا: التاريخ السياسى للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبدالواحد أكمير،منشورات الزمن،الدار البيضاء،٢٠٠٤م.
- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- ليلى أحمد نجار: المغرب والأندلس فى عهد المنصور الموحدى، أطروحة دكتوراة، جامعة أم القرى ،مكة المكرمة ،١٤٠٩ه/١٩٨٩م.
- عبدالحميد عبدالله عبدالرحمن: ابن رشد وموقفه من قضية النقل والعقل ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين بطنطا ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٠م.
- محمد عبدالعمر: الإقطاع وأثره السياسى والاجتماعى فى المغرب خلال عصر المرابطين والموحدين،رسالة دكتوراة،آداب عين شمس،٢٠٠٧م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

Alfred bell, les benous Ghanya, Universel, ١٩٠٣.

Cambridge History of Africa, Prepared by a number of writers, vol. III, Cambridge University Press, ١٩٧٧.

Encyclopaedia of Islam, Prepared by a number of leading orientalists, vol. ١, London, ١٩٦٠

Unesco, General History of Africa, vol. IV.